كيف تكتسح الهند قواعد اللعبة في عصر الخوارزميات؟

ص3

محمد وهبي

فخور بجرأة لاعبي المغرب أمام البرازيل

ص11

السيطرة بلا شراكة... معضلة دمشق في شرق سوريا

ص2

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الإثنين 2026/06/15 - 29 ذوالحجة 1447

السنة 49 العدد 13835

Monday 15/06/2026

49th Year, Issue 13835

www.alarab.co.uk

مؤشر دولي يضع ليبيا ضمن أكثر الدول خطورة لإجراء الانتخابات

التشكيلات المسلحة عامل حاسم في عرقلة أي استحقاق انتخابي

هل يتحقق أمل الليبيين في انتخابات نزيهة؟

طرابلس - رغم الزخم السياسي الذي رافق مخرجات الحوار المهيكل في ليبيا خلال الفترة الأخيرة، فإن تقريرا دوليا حديثا أعاد تسليط الضوء على هشاشة البيئة التي يُفترض أن تُجرى فيها الانتخابات المؤجلة منذ سنوات، حيث صنّف "مؤشر الهشاشة الانتخابية" الصادر عن مؤسسة كوفي عنان ليبيا ضمن الدول الأكثر خطورة لإجراء الاستحقاقات الانتخابية خلال الفترة 2026 – 2027، واضعاً إياها في المرتبة الثانية عشرة ضمن قائمة تضم 15 دولة تُعد عملياتها الانتخابية الأكثر عرضة للعنف والانفلات الأمني.

ويعكس هذا التصنيف حجم التعقيدات البنيوية التي لا تزال تعيق تنظيم انتخابات رئاسية وتشريعية في البلاد، رغم استمرار الجهود المحلية والدولية لإعادة إطلاق المسار السياسي. فليبيا، التي تعيش منذ سنوات على وقع انقسام سياسي ومؤسسي حاد، لم تتمكن بعد من تجاوز إرث ما بعد 2014، حين تحولت الخلافات الانتخابية إلى مواجهات مسلحة أفضت إلى انقسام فعلي بين شرق البلاد وغربها، وتعدد مراكز القرار السياسي والعسكري.

ورغم هذه الصورة القاتمة، لا يرى خبراء أن التصنيف الدولي يعني استحالة إجراء الانتخابات، بل يضعها ضمن مسار مشروط يتطلب جملة من الإصلاحات السياسية والأمنية والتشريعية. فنجاح أي استحقاق انتخابي، وفق تقديراتهم، لا يرتبط فقط بعملية الاقتراع، بل بالبيئة التي تسبقها وتليها، بدءاً من القوانين المنظمة، وصولاً إلى قبول النتائج وضمان عدم الانزلاق إلى العنف.

> التصنيف الدولي لا يعني استحالة إجراء الانتخابات، بل يضعها ضمن مسار مشروط يتطلب إصلاحات سياسية وأمنية

ويلفت الباحث في الشؤون الإستراتيجية والسياسية محمد أمطيريد إلى أن التجربة الليبية أظهرت أن الأزمة لا تنفجر عادة في يوم التصويت، بل بعد إعلان النتائج، حين تبدأ صراعات النفوذ وتضارب المصالح في الظهور بشكل حاد.

ويشير إلى أن انتخابات 2014 تمثل نموذجا واضحا لهذا المسار، إذ أدت النتائج إلى مواجهات مسلحة واسعة وانقسام سياسي مستمر حتى اليوم، ما يجعل من مسألة قبول النتائج أحد أهم التحديات أمام أي استحقاق انتخابي جديد.

ويؤكد أمطيريد في تصريح لسكاي نيوز عربية أن نجاح الانتخابات في ليبيا يتطلب أولا اتفاقا سياسيا شاملا على قواعد اللعبة، بما يشمل آليات انتقال السلطة، وضمانات تسليمها سلميا، وتوافقا مسبقا على احترام الإرادة الشعبية.

كما يشدد على ضرورة معالجة مسألة التشكيلات المسلحة التي لا تزال تملك تأثيرا مباشرا على المشهد الأمني، محذرا من أن استمرار وجودها خارج سلطة الدولة يشكل تهديدا مباشرا لأي عملية انتخابية.

وفي المقابل، يبرز خطاب أكثر تفاؤلا لدى بعض الخبراء القانونيين الذين يرون أن الأزمة الليبية، رغم تعقيدها، ليست مستعصية الحل إذا ما تم التعامل معها عبر أدوات قانونية ودستورية واضحة.

ويعتبر الخبير القانوني عبدالله الديباني أن الإشكال الأساسي يتمثل في غياب إطار تشريعي مستقر ومحصّن، يمكن أن يشكل قاعدة صلبة لأي انتخابات مقبلة.

ويدعو الديباني إلى إصدار قوانين انتخابية واضحة ومحصنة من التأويلات والنزاعات القضائية، إلى جانب تفعيل الرقابة القضائية بشكل كامل على العملية الانتخابية، بما يضمن شفافية الإجراءات وسلامة النتائج.

كما يقترح اعتماد ميثاق شرف وطني ملزم للأطراف السياسية، يتضمن عقوبات رادعة لأي طرف يرفض نتائج الانتخابات أو يلجأ إلى العنف لتعطيل المسار الديمقراطي.

ويضيف أن تعزيز دور القضاء الليبي يمثل عنصرا أساسيا في بناء الثقة، خاصة أن المؤسسة القضائية لا تزال تحظى بدرجة من القبول العام، ويمكن أن تلعب دورا محوريا في الإشراف على الانتخابات وحسم النزاعات المرتبطة بها.

وأما الباحث السياسي إدريس أحميد، فيرى أن نجاح أي انتخابات مقبلة مرهون بثلاثة شروط أساسية: توافق سياسي شامل، إطار دستوري واضح، وضمانات حقيقية لاحترام النتائج.

ويؤكد أن معالجة ملف التشكيلات المسلحة تمثل حجر الزاوية في أي حل مستقبلي، سواء عبر نزع سلاحها وإدماجها في مؤسسات الدولة، أو إلزامها بالامتثال لنتائج العملية السياسية وعدم التدخل فيها.

كما يشدد أحميد على ضرورة إنهاء الانقسام بين مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة، باعتبار أن استمرار الخلاف بين المؤسستين يعرقل التوصل إلى قاعدة قانونية موحدة تنظم الانتخابات.

ويرى أن مخرجات الحوار المهيكل الذي رعته بعثة الأمم المتحدة تمثل فرصة مهمة، لكنها تبقى مرهونة بمدى الالتزام بتنفيذها على الأرض، وليس الاكتفاء بإصدار توصيات سياسية غير ملزمة.

تصعيد في لبنان يستبق توقيع اتفاق إطار بين واشنطن وطهران

بيروت - يشهد لبنان تصعيدا خطيرا في ظل تضارب الأنباء بشأن موعد توقيع الولايات المتحدة وإيران اتفاق إطار لإنهاء الحرب، والذي من المفترض أن يكون البلد العربي جزءا منه.

وشنت إسرائيل، الأحد، غارات جوية على أهداف قالت إنها لحزب الله في الضاحية الجنوبية لبيروت، فيما أنذرت سكان العشرات من القرى في الجنوب بإخلائها تمهيدا لقصفها.

وأفادت "الوكالة الوطنية للإعلام" بـ"سقوط شهيد وأربعة جرحى في حصيلة أولية لغارة استهدفت شقة في الغبيري"، مشيرة إلى أن الغارة بصاروخين نفذها الجيش الإسرائيلي دون إنذار مسبق، واستهدفت شقة قرب فرن قلقاس على الأوتوستراد بين المشرفية وجسر المطار.

بدوره أكد الجيش الإسرائيلي مهاجمة أهداف لحزب الله في الضاحية الجنوبية، وقالت المتحدثة بلسان الجيش الإسرائيلي للإعلام العربي إيلا واوية "هاجم جيش الدفاع بشكل دقيق بنية تحتية تابعة لمنظمة حزب الله الإرهابية في الضاحية الجنوبية لبيروت"، مشيرة إلى أن غارة دقيقة استهدفت "مقر قيادة تابعًا لمنظمة حزب الله الإرهابية".

وأضافت المتحدثة، في بيان صحفي، أن "المقرّ الذي تم استهدافه استخدمه مخربو منظمة حزب الله الإرهابية للدفع بمخططات إرهابية ضد مواطني الدفاع العاملة في جنوب لبنان"، موضحة أن "الغارة جاءت بعد أن أطلقت منظمة حزب الله الإرهابية في وقت سابق من يوم الأحد أهدافًا جوية باتجاه أراضي دولة إسرائيل".

وأكدت أن "منظمة حزب الله الإرهابية تواصل الدفع بمخططات إرهابية ضد مواطني دولة إسرائيل وقوات جيش الدفاع"، لافتة إلى أن "جيش الدفاع سيواصل العمل لإزالة أي تهديد يطال دولة إسرائيل وقواته، وذلك وفقًا لتوجيهات المستوى السياسي".

وفي مقابل التصعيد الإسرائيلي وجه حزب الله الأحد ضربات لشمال إسرائيل عبر مسيّرات، استهدفت في إحداها قاعدة عسكرية في الجليل الغربي.

وقال الجيش الإسرائيلي إن ثلاث طائرات مسيّرة يُشتبه في أن حزب الله أطلقها في عمليات منفصلة الأحد دخلت الأجواء الإسرائيلية وتحطمت اثنتان منها في شمال إسرائيل من دون وقوع إصابات.

ويرى مراقبون أن التصعيد بين الجانبين متوقع، حيث يسعى كل طرف إلى تكبيد الطرف الآخر المزيد من الأضرار والخسائر والسبت قال الرئيس الأميركي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الباكستاني شهباز شريف إنهما يتوقعان توقيع اتفاق إطاري طال انتظاره لإنهاء الحرب بين الولايات المتحدة وإيران الأحد، لكن طهران أثارت شكوكا حيال التوقيت وعبر محتجون متشددون في إيران عن معارضتهم للخطوة.

وكتب ترامب في منشور على وسائل التواصل الاجتماعي أن من المقرر توقيع الاتفاق مع إيران الأحد، الذي يصادف عيد ميلاده الثمانين.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

الخليج في مواجهة ماكينة الإشاعة الإيرانية

في التاسع عشر من آذار/مارس 2026، وبعد ساعات من استهداف صاروخ إيراني مجمع الطاقة في رأس لفان القطري، وصف رئيس مجلس الوزراء القطري محمد بن عبدالرحمن آل ثاني الاعتداء بأنه "تصعيد خطير وانتهاك مرفوض يهدد استقرار المنطقة". في اليوم ذاته تقريبًا، كانت وسائل إعلام وصفحات على منصات التواصل تُروّج لرواية مختلفة تمامًا: قطر تتعاون مع إيران في إنتاج الغاز، والإمارات تُحوّل مليارات الدولارات إلى طهران لشراء الأمان.

التناقض بين الواقع وما يُروّج هو إستراتيجية ممنهجة تهدف إلى شيء واحد: تفكيك الصورة الخليجية المتماسكة في مواجهة إيران، وإغراق المشهد بالغموض بدلًا من الوضوح. وهي إستراتيجية قديمة بأدوات جديدة؛ أدوات لم تكن تمتلكها طهران بهذا القدر من الفاعلية قبل ثورة منصات التواصل الاجتماعي.

لفهم لماذا تلجأ إيران إلى هذه الأداة تحديدًا، لا بدّ من استيعاب وضعها بعد حرب شباط/فبراير 2026. الضربات الأميركية – الإسرائيلية أحدثت أضرارًا عسكرية وبنيوية جسيمة. البرنامج النووي تضرّر بما لا تستطيع الوكالة الدولية للطاقة الذرية حتى الآن قياسه. المرشد علي خامنئي لقي حتفه في الغارات. وريثه مجتبى يُعيد رسم ملامح السلطة. طهران، بعبارة أخرى، في أضعف لحظاتها منذ عقود.

في هذه اللحظة بالذات تتصاعد وتيرة الإشاعات. منطق الحرب الإعلامية في هذا السياق واضح: ما لا تستطيع إيران تحقيقه عسكريًا أو دبلوماسيًا، تسعى إلى تحقيقه ببث الإشاعات. إذا أمكن إقناع جمهور إقليمي ودولي بأن الدول الخليجية تتعامل سرًا مع طهران، تتراجع صورة هذه الدول كقوى مظلومة وتتعقد مواقفها التفاوضية وتتصدع ثقة مواطنيها في قرارات حكوماتهم.

من بين دول الخليج وجدت قطر نفسها في مرمى التضليل بشكل لافت – وهو ما لا يخلو من دلالة. الدوحة دولة تجمع بين موقعها كمضيف للقاعدة الجوية الأميركية الأكبر في المنطقة، ووجود قناة الجزيرة على أرضها، وتاريخها في فتح قنوات حوار مع أطراف متعارضة. هذا التموضع الفريد يجعلها هدفًا طبيعيًا لمن يريد تصوير الخليج على أنه ليس متماسكًا خلف مواقفه.

لكن قراءة ما حدث فعليًا تكشف صورة مغايرة. في آذار/مارس 2026 اعتُرضت صواريخ إيرانية فوق الأجواء القطرية. استُهدف مجمع الطاقة في رأس لفان. وأطلقت الدوحة تصريحات لا تختلف في حدّتها عن تصريحات باقي دول الخليج. وحين نشرت صحيفة "واشنطن بوست" تقارير تُلمّح إلى تنسيق قطري – إيراني في إنتاج الغاز، جاء الرد القطري الرسمي واضحًا: المكتب الإعلامي قال إنّ الصحيفة "العريقة" سُمح باستخدامها "منصةً لتمرير حملة تضليل إعلامي تقف وراءها جهات تسعى إلى تقويض الجهود الرامية إلى تحقيق السلام في المنطقة".

هذا الرد لافت من زاويتين: أولًا، لأنه يُسمّي المشكلة بوضوح؛ ليس خطأً صحفيًا بل تضليل ممنهج. وثانيًا، لأنه يوجّه المسؤولية نحو من يُموّل الرواية لا من يكتبها. والإشارة إلى "جهات تسعى إلى تقويض السلام" في هذا السياق ليست رسالة غامضة.

ما الذي تسعى إيران إلى تحقيقه فعليًا عبر هذه الموجة من التضليل؟ القراءة الأولى والأسهل هي أنها تسعى إلى تصوير نفسها كمنتصر. نظام يُعلن عن صفقات سرية مع الدول التي تدينه علنًا يُقدّم نفسه كطرف لا يمكن تجاهله أو تجاوزه، حتى من ألدّ خصومه. الرواية في صالحه حتى لو كانت مُزوّرة، لأنها تزرع في الذهن الجمعي فكرة أن "شيئًا ما يجري في الكواليس".

القراءة الثانية أعمق: إيران تسعى إلى تفكيك التضامن الخليجي. إذا اعتقد المواطن الخليجي أن حكومته تتعامل سرًا مع من يقصف مدنه، تتراجع ثقته في مؤسساته. وإذا اعتقد المستثمر الدولي أن دولًا خليجية تُرسل المليارات إلى طهران، يُعيد حسابات الثقة والأمان. والأهم: إذا شكّ حلفاء الخليج – في واشنطن ولندن وباريس – في صلابة المواقف الخليجية تتعقد المعادلة الدبلوماسية في وقت تحتاج فيه المنطقة إلى أقصى درجات الوضوح.

> ما تحتاجه دول المنطقة ليس فقط إصدار بيانات النفي بل منظومة إعلامية استباقية قادرة على تفكيك الإشاعة

القراءة الثالثة تتعلق بالتفاوض: كل رواية تُضعف الموقف الخليجي تُعزّز الهامش التفاوضي الإيراني، حتى لو لم تكن الرواية صحيحة. التضليل الإعلامي أداة ضغط دبلوماسي أرخص بكثير من صواريخ بالستية، وأقل احتكاكًا مع وقف إطلاق النار.

ما يُلفت في الردود الخليجية على موجة التضليل الأخيرة هو سرعتها ووضوحها. قبل سنوات، كانت دول الخليج تتعامل مع الإشاعات في الغالب بالصمت أو بردود مقتضبة. اليوم، يعكس النهج القطري والإماراتي وعيًا مؤسسيًا أعمق بأن الحرب الإعلامية لا تُدار بالتجاهل، بل بالمواجهة المباشرة والسريعة.

ردود الخليج كانت صحيحة وضرورية، لكنها ليست كافية وحدها. ما تحتاجه دول المنطقة ليس فقط إصدار بيانات النفي، بل بناء منظومة إعلامية استباقية قادرة على تفكيك الرواية قبل أن تنتشر، وتوثيق مصادر التضليل وتعقّب تمويله، ورفع هذه الملفات إلى مستوى دبلوماسي يُكلّف من يُرسلها ثمنًا حقيقيًا. الحرب الإعلامية لا تُربح بالدفاع وحده، بل بالمبادرة وبنشر الحقيقة بسرعة تسبق الأكذوبة.

الخليج يخوض اليوم حربين في وقت واحد: حرب المسيّرات والصواريخ في السماء، وحرب الروايات والإشاعات على الشاشات. وإذا كان الدفاع الجوي الإماراتي يتصدى لمسيّرة بمسيّرة، فإن الدفاع الإعلامي لا يقل ضرورة ولا يقل تعقيدًا.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

السيطرة بلا شراكة... معضلة دمشق في شرق سوريا

العشائر التي سلّمت الشرق لدمشق تطالب اليوم بنصيبها من السلطة

المعضلة الأساسية التي تواجه دمشق اليوم ليست في قدرتها على فرض الأمن أو إدارة الموارد، بل في قدرتها على تحويل السيطرة العسكرية في مناطق العشائر إلى شرعية سياسية.

سيطرة هشة

دمشق - في يناير 2026 بدا أن دمشق قد حققت واحدا من أكبر التحولات الجيوسياسية داخل الأراضي السورية منذ سنوات الحرب الطويلة، بعدما استعادت السيطرة على شرق البلاد إثر انهيار قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، التي كانت تمثل القوة الرئيسية المدعومة من الولايات المتحدة في تلك المنطقة. غير أن هذا التحول، الذي جرى تقديمه بوصفه إعادة توحيد للسيادة السورية، سرعان ما كشف عن معضلة أعمق تتجاوز مسألة السيطرة العسكرية، لتصل إلى جوهر العلاقة بين الدولة والمجتمع في الأطراف: السيطرة بلا شراكة، حيث تستعيد دمشق الأرض والموارد، لكنها لم تنجح حتى الآن في بناء عقد اجتماعي جديد مع السكان المحليين.

ولم يكن سقوط نفوذ "قسد" نتيجة تفوق عسكري حاسم للجيش السوري الانتقالي، بل جاء أساسا عبر تحولات داخلية في البنية الاجتماعية والعشائرية للمنطقة. فقد لعبت العشائر العربية في دير الزور والرقة دورا حاسما في تغيير موازين القوى، حين قررت الانشقاق عن الهياكل العسكرية التابعة لـ"قسد" والاصطفاف مع دمشق.

وفي أيام قليلة انهارت منظومة الحكم العسكري التي اعتمدت عليها "قسد" لسنوات، لتُفتح الطريق أمام عودة الدولة إلى واحدة من أكثر المناطق حساسية في سوريا، ليس فقط من الناحية الجغرافية، بل أيضا من حيث الثروة والهوية والتاريخ السياسي.

لكن هذه العودة السريعة حملت في داخلها بذور أزمة جديدة. فالعشائر التي ساهمت في تسليم الشرق إلى دمشق كانت تنتظر في المقابل شكلاً من أشكال الاعتراف السياسي والمشاركة الفعلية في إدارة الموارد، غير أن ما حدث لاحقاً بدا أقرب إلى إعادة إنتاج نموذج مركزي تقليدي، يتركز فيه القرار في العاصمة، بينما تُدار الأطراف عبر ممثلين غالباً ما يُنظر إليهم بوصفهم غرباء عن البيئة المحلية أو مرتبطين بدوائر نفوذ ضيقة.

وتتكون المنطقة الشرقية من ثلاث محافظات رئيسية هي دير الزور والرقة والحسكة، وهي ليست مجرد هامش جغرافي، بل تمثل قلب الثروة السورية. فهي تضم أبرز حقول النفط والغاز، إضافة إلى كونها السلة الزراعية الأساسية لإنتاج القمح في البلاد.

ومع ذلك، فإن العلاقة التاريخية بين هذه المنطقة والعاصمة اتسمت دائماً بالتوتر وعدم الثقة، حيث شعرت المجتمعات المحلية بأنها تُعامل كمصدر للموارد أكثر من كونها شريكاً في الدولة.

ومنذ سنوات الحرب الأولى تعاقبت على شرق سوريا قوى مختلفة، من النظام السابق إلى تنظيم داعش ثم "قسد"، وكلها واجهت الاتهام ذاته من السكان المحليين: إدارة الموارد دون توزيع عادل للعائدات، وتهميش المجتمعات المحلية في القرار السياسي. واليوم، مع عودة دمشق، يتجدد النمط نفسه ولكن بأدوات مختلفة.

> مع تزايد الحديث عن مشاريع استثمارية ضخمة في العاصمة والمناطق الساحلية، تتعمق الفجوة بين المركز والأطراف

وفي دير الزور تم تعيين مسؤولين من داخل دوائر عشائرية محددة في مواقع حساسة، لكن هذا لم يمنع استمرار الشعور بأن السلطة الفعلية تُمارس من خارج المحافظة.

أما في الرقة فقد أثار تعيين محافظ من حلب جدلاً واسعا، واعتُبر مؤشرا على استمرار النهج المركزي الذي لا يضع اعتبارا كافيا للتمثيل المحلي.

وفي الحسكة، رغم قبول دمشق بتعيين شخصية كردية في منصب المحافظ، فإن ذلك لم يُنهِ التوترات، بل أعاد طرح سؤال التوازن بين المكونات العربية والكردية في ظل غياب صيغة سياسية جامعة.

ويعكس هذا التباين في إدارة المحافظات الثلاث بوضوح أن دمشق لا تزال تبحث عن صيغة حكم مستقرة للشرق، لكنها تميل حتى الآن إلى إدارة المنطقة عبر ترتيبات أمنية وإدارية أكثر من كونها ترتيبات سياسية قائمة على المشاركة. وهو ما يخلق فجوة متزايدة بين الدولة والمجتمع المحلي، حيث لا يشعر السكان بأنهم جزء من القرار، حتى وإن كانوا جزءا من الدولة.

ولا تتعلق الأزمة فقط بالتمثيل السياسي، بل تمتد إلى الاقتصاد وإدارة الموارد. فبعد استعادة السيطرة على الحقول النفطية الكبرى في دير الزور، ارتفع إنتاج النفط ليصل إلى أكثر من مئة ألف برميل يوميا، ما وفر إيرادات كبيرة للحكومة المركزية. إلا أن هذه العائدات لم تنعكس بشكل ملموس على تحسين الأوضاع المعيشية في المنطقة نفسها، حيث لا تزال البنية التحتية تعاني من ضعف شديد، والخدمات الأساسية في حالة تدهور.

وينطبق الأمر ذاته على القطاع الزراعي. ففي منطقة الجزيرة، التي تُعد من أهم مناطق إنتاج القمح في سوريا، اشتكى المزارعون من سياسات تسعير اعتُبرت غير عادلة، ما أدى إلى احتجاجات متفرقة في الرقة ودير الزور والحسكة.

ورغم أن الحكومة تراجعت عن بعض قراراتها ورفعت الأسعار لاحقا، فإن ذلك لم يغير الانطباع السائد بأن القرارات الاقتصادية تُتخذ في المركز دون إشراك الفاعلين المحليين.

وإلى جانب ذلك اتخذت الحكومة خطوات لإغلاق المصافي النفطية البدائية التي كانت توفر دخلاً لآلاف العائلات في دير الزور، لكنها لم تقدم بدائل اقتصادية كافية، ما أدى إلى تفاقم التوترات الاجتماعية واندلاع احتجاجات محلية.

ويعزز هذا النمط من الإدارة، الذي يجمع بين فرض السيطرة المركزية وتقديم تنازلات ظرفية عند وقوع الاحتجاجات، شعورا متزايدا بعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

في المقابل تعاني المنطقة أيضا من ضعف واضح في مشاريع إعادة الإعمار. فبينما تتجه الاستثمارات الكبرى نحو دمشق وحلب والساحل السوري، تبقى مناطق الشرق خارج أولويات خطط التنمية، رغم أنها الأكثر تضررا من الحرب والأكثر حاجة إلى إعادة بناء البنية التحتية.

ومع تزايد الحديث عن مشاريع استثمارية ضخمة في العاصمة والمناطق الساحلية، تتعمق الفجوة التنموية بين المركز والأطراف، ما يعزز الشعور باللامساواة.

وتبرز قضية البنية التحتية بشكل خاص في ظل تدهور شبكات الطرق والجسور على نهر الفرات، حيث انهارت بعض الجسور نتيجة الفيضانات، بينما لم تشمل خطط الإصلاح سوى مشاريع محدودة لا تتناسب مع حجم الاحتياجات الفعلية للسكان. ويعزز هذا الإهمال النسبي فكرة أن الدولة تنظر إلى الشرق بوصفه خزّانا للموارد لا منطقة ذات أولوية تنموية.

وفي الخلفية تظل العلاقة بين المركز والشرق السوري محكومة بتاريخ طويل من الشكوك المتبادلة. فالسكان المحليون يرون أن كل قوة سيطرت على المنطقة، سواء كانت الدولة أو التنظيمات المسلحة أو القوى الكردية، تعاملت معها بوصفها مساحة للاستغلال لا الشراكة.

وبينما تنظر دمشق إلى استعادة السيطرة باعتبارها خطوة نحو إعادة بناء الدولة المركزية، لكنها لم تنجح بعد في تحويل هذه السيطرة إلى قبول سياسي واجتماعي.

الرباط تراهن على تنويع شركائها الدفاعيين عبر التعاون مع البرازيل

محمد ماموني العلوي

الرباط - في محاولة لتعزيز فرصها في الفوز بصفقة طائرات نقل عسكرية من شركة "إمبراير" البرازيلية، تقترح المجموعة البرازيلية المتخصصة في صناعة الطيران تزويد الجيش المغربي بمركز قيادة متطور من نوع C4I، قادر على توحيد وإدارة مختلف العمليات العسكرية للمملكة، بما يضمن تنسيقا أفضل للعمليات العسكرية وتبادلا فوريا للمعطيات التكتيكية واتخاذ القرارات في الزمن الحقيقي.

واختارت "إمبراير" البرازيلية المغرب، في أبريل 2025، شريكا إقليميا إستراتيجيا ضمن خطتها الرامية إلى تطوير سلسلة توريد قوية تشمل هياكل الطائرات والتصنيع الميكانيكي وأشغال الصفائح المعدنية والمواد المركبة، بحسب ما أورده موقع "أفريكا أنتلجنس".

ويجمع نظام C4I بين القيادة والتحكم والاتصالات والحوسبة والاستخبارات، وهو أداة متقدمة تسمح بدمج عمليات القوات البرية والجوية والبحرية ضمن منظومة موحدة، حيث يطمح المغرب منذ سنوات إلى إنشاء مركز قيادة موحد على غرار النماذج المعتمدة في الولايات المتحدة وفرنسا.

وجرت مباحثات دفاعية جمعت مسؤولين من وزارة الدفاع البرازيلية وممثلين عن عدد من كبريات شركات الصناعات العسكرية والأمنية بالبرازيل مع مسؤولين بالقوات المسلحة الملكية، في إطار فعاليات "أيام الدفاع المغربية – البرازيلية"، بحسب ما أورده موقع "ديفينسا" الإسباني المتخصص في الشؤون العسكرية والدفاعية، في خطوة تعكس تنامي العلاقات العسكرية بين البلدين ورغبتهما في توسيع مجالات التعاون الدفاعي والتكنولوجي خلال المرحلة المقبلة.

واستقبل المكتب الرابع التابع للقوات المسلحة الملكية، المكلف باللوجستيك والتجهيز والتخطيط المادي وتدبير عقود التسلح وبرامج التصنيع المحلي، وفدا برازيليا ضم مسؤولين حكوميين وعسكريين وممثلين عن عدد من أبرز شركات الصناعات الدفاعية.

وهدفت الزيارة إلى التعريف بالقدرات التي تمتلكها القاعدة الصناعية الدفاعية البرازيلية واستكشاف فرص التعاون مع المملكة المغربية، حيث خصصت جلسات عمل لدراسة احتياجات القوات المسلحة الملكية ومقارنتها بالحلول التي توفرها الشركات البرازيلية في مجالات الطيران والفضاء والبنية التحتية الحيوية والأنظمة التكنولوجية المتقدمة.

وأكد هشام معتضد، الباحث المتخصص في الشؤون الإستراتيجية والأمنية، أن "اقتراح هذا النظام يدخل ضمن الاتفاقيات وبروتوكولات التعاون التي تجمع البرازيل مع المؤسسات المغربية، ومن المرجح أنه سيكون لها تأثير إيجابي وبناء على المؤسسات العسكرية والأمنية المغربية"، مشددا على أن "توطين الصناعات العسكرية على المستوى المحلي يعتبر تحديا رفعه المغرب للحفاظ على توازناته الإستراتيجية في فضائه الجيوسياسي".

وأوضح في تصريح لـ"العرب" أن "التعاون العسكري مع المؤسسات الدفاعية البرازيلية يعكس رغبة المغرب في خلق صناعة عسكرية محلية، تندرج في إطار رؤية الرباط السياسية للالتحاق بالدول الصاعدة والتي تضع تطوير منصة صناعية حربية في قلب تنمية قطاعاتها المحلية".

وتابع معتضد أن "التعاون الدفاعي مع البرازيل يدخل في إطار سياسة تنويع الشركاء التي تبناها المغرب في العديد من قطاعاته الإستراتيجية، وذلك للاستجابة الفعالة لحاجياته الحيوية وتقليص الارتباط بموردين محدودين لعدم الوقوع في فخ التبعية الإستراتيجية"، مشيرا إلى "وجود عزم مغربي على تقليص التبعية للخارج في ما يخص استيراد الأسلحة وتموين مختلف فرق القوات المسلحة المغربية بمختلف القطع الحربية والعسكرية ذات الاستهلاك الروتيني".

ويتزامن هذا العرض مع مفاوضات متقدمة بشأن اقتناء خمس طائرات نقل عسكري من طراز KC-390، في صفقة تتجاوز قيمتها 600 مليون دولار.

هشام معتضد

المغرب يرغب في خلق صناعة عسكرية محلية

وقد طُرح الملف مؤخرا خلال مباحثات احتضنتها الرباط بين وفد من وزارة الدفاع البرازيلية ومسؤولين من القوات المسلحة الملكية.

وتُصنف الطائرة البرازيلية ضمن أحدث طائرات النقل العسكري في العالم، إذ تتمتع بقدرات متقدمة تتيح لها تنفيذ مهام نقل الجنود والمعدات والآليات العسكرية، والتزود بالوقود جوا، والإجلاء الطبي، وعمليات الإغاثة الإنسانية، فضلا عن العمل في بيئات تشغيلية متنوعة، ما يجعلها من الخيارات التي تستقطب اهتمام عدد متزايد من القوات المسلحة عبر العالم.

وقدمت شركات "سيغورا ديفينس" و"أتيك" و"سيات" و"ماك جي" و"سايفر" و"تاوروس"، المتخصصة في الصناعات الدفاعية والأمنية، عروضا مفصلة حول منتجاتها وحلولها التكنولوجية وإمكانات التعاون مع الجانب المغربي في عدد من المجالات العسكرية والأمنية.

كما عرضت شركة "سايفر" مجموعة من الحلول المخصصة للمطارات المدنية والعسكرية، إضافة إلى منصة "هوروس" المتخصصة في المراقبة الفضائية ودعم اتخاذ القرار، وهي منظومة تكنولوجية متقدمة توفر قدرات للرصد والتحليل وتدعيم العمليات الميدانية، بما يعكس اهتمام البرازيل بتسويق خبراتها في مجال المراقبة والأنظمة الفضائية داخل السوق المغربية.

حماس تسلم رد الفصائل على خارطة ملادينوف

وفد حماس يواصل لقاءاته مع الوسطاء في القاهرة

غموض يلف الرد على خطة ملادينوف

غزة - أعلنت حركة حماس، الأحد، تسليمها رد الفصائل الفلسطينية على "خارطة الطريق" التي طرحها الممثل الأعلى لـ"مجلس السلام" في قطاع غزة نيكولاي ملادينوف، وأكدت على ضرورة الانسحاب الإسرائيلي "الكامل" من القطاع.

وفي 21 مايو الماضي، طرح ملادينوف "خارطة طريق" مكونة من 15 بندا لتنفيذ الخطة التي اقترحها الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشأن قطاع غزة.

وتحدد خارطة ملادينوف آليات تنفيذ ملفات مرتبطة بمستقبل غزة، بينها إعادة الإعمار، ونزع سلاح الفصائل، والانسحاب الإسرائيلي، وعمل قوة الاستقرار الدولية، وإعادة بناء جهاز الشرطة.

وشددت الخارطة على ضرورة "تنفيذ التدابير الموعود بها في بداية وقف إطلاق النار، بما في ذلك المساعدات الإنسانية والوقود والمعابر والمأوى، والتدابير الواردة في تفاهمات شرم الشيخ، قبل الانتقال إلى المرحلة التالية".

وقالت حماس في بيان إنها سلمت السبت "رد الفصائل الفلسطينية على خطة خارطة الطريق التي كانت قد تسلمتها من ملادينوف".

وأكدت أنها عقدت "والفصائل الفلسطينية والإخوة الوسطاء (مصر، وقطر، وتركيا) في (العاصمة المصرية) القاهرة خلال الأسبوع المنصرم العديد من اللقاءات (بدأت في 6 يونيو الجاري)، أثمرت بلورة الموقف الوطني الموحد، وتم تقديمه يوم أمس (السبت)".

وشددت على أن "الفصائل الفلسطينية تعاملت مع خارطة الطريق بمسؤولية وإيجابية عاليتين"، مؤكدة "ضرورة تنفيذ المرحلة الأولى بكامل تفاصيلها، ولاسيما ما يتعلق بالبروتوكول الإنساني ووقف كافة أشكال العدوان على شعبنا الفلسطيني في قطاع غزة".

حماس أكدت "ضرورة الالتزام الكامل أيضا بما ورد في الخارطة بشأن دخول اللجنة الإدارية والانسحاب الصهيوني (الإسرائيلي) الكامل من القطاع وإعادة الإعمار، وصولاً إلى تحقيق أهداف شعبنا في إقامة دولته ونيل حقه في تقرير المصير".

وأضافت أنه "من المقرر أن يواصل وفد حركة حماس في القاهرة لقاءاته مع الوسطاء والفصائل للمضي قدماً في تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه".

> في 21 مايو الماضي، طرح ملادينوف «خارطة طريق» مكونة من 15 بندا لتنفيذ الخطة التي اقترحها ترامب بشأن غزة

وفي 29 سبتمبر 2025، أعلن ترامب خطة لوقف الحرب الإسرائيلية في غزة تتألف من 20 بندا، بينها الإفراج عن الأسرى الإسرائيليين، ونزع سلاح حماس، وانسحاب إسرائيلي جزئي من القطاع، وتشكيل حكومة تكنوقراط، ونشر قوة استقرار دولية.

ودخلت المرحلة الأولى من الخطة حيز التنفيذ في 10 أكتوبر 2025، وفيما التزمت حركة حماس بمتطلبات المرحلة الأولى، تنصلت إسرائيل من تعهداتها وواصلت اعتداءاتها.

ورغم تنصل تل أبيب، أعلن ترامب، منتصف يناير الماضي، بدء المرحلة الثانية، وتتضمن انسحابا أوسع للجيش الإسرائيلي، وإعادة الإعمار، مقابل بدء نزع سلاح الفصائل، وهو ما لم تنفذه إسرائيل أيضا وتتجاوزه بالإصرار على نزع السلاح أولا.

وجرى التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار بعد عامين من الحرب التي بدأتها إسرائيل في 8 أكتوبر 2023، وخلفت نحو 73 ألف قتيل وما يزيد على 173 ألف جريح فلسطيني، معظمهم أطفال ونساء، ودمارا طال 90 في المئة من البنية التحتية المدنية.

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

إمبراطورية النظم الرقمية: كيف تكتسح الهند قواعد اللعبة في عصر الخوارزميات؟

المسار الثالث: كيف يغير الابتكار المقتصد توازنات القوى في الفضاء الرقمي العالمي؟

الهند أدركت مبكرا أن معارك القرن الحادي والعشرين لن تُحسم بالجيوش وحدهـا، بل بمن يملك القدرة على تنظيم البيانـات، وإدارة الهوية الرقمية، وضبط البنى التحتية غير المرئية التي تتحكم في الاقتصاد والحياة اليومية. ولذا سعت لأن يكون مشـروعها الرقمي محاولة إستراتيجية لبناء "سيادة خوارزميـة" قادرة على حماية القرار الوطني داخل عالم تهيمن عليه القوى الرقمية العملاقة.

إعادة صياغة للعلاقة بين الدولة ومواطنيها

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة باريس 8

بينمـا ينشـغل العالـم بمراقبة صراع العمالقة التقنيين، تعكف الهند بهدوء على بنـاء "إمبراطوريـة نظم رقميـة" من نوع خاص. وهي اليوم لا تكتفي بكونها مصدراً للمبرمجيـن، بـل باتـت المختبـر الأكبر في العالـم لابتكار أنظمة سـيادية أعادت تعريـف معنى السـيادة الرقميـة. فكيف نجحت نيودلهـي في تحويل ندرة الموارد إلى ميزة تنافسية؟ ما هو "المسار الثالث" الذي تسـلكه الهند لتعيد من خلاله رسـم خريطـة النفوذ التقني فـي القرن الحادي والعشـرين؟ كيف جمع هذا النموذج بذكاء بيـن الانفتاح على السـوق وحماية القرار الوطني، حيث تتجلى السـيادة الرقمية الهندية كحالة احتواء إستراتيجي، وتبني الدولة اسـتقلالها من داخل التشـابك مع الواقع، لا من خارجه؟

إن هـذه الإمبراطوريـة ليسـت مجرد تراكـم برمجيـات، بل هي إعـادة صياغة للعلاقة بين الدولة ومواطنيها في الفضاء الرقمـي، حيـث تحولـت الخوارزمية من أداة تقنيـة بـاردة إلـى ركيزة دسـتورية تُنظم الحقوق والواجبات، وتؤسـس لعقد اجتماعـي جديـد يرتكـز على الشـفافية التقنية والشمول الاقتصادي الواسع.

رواد الرؤية ومهندسو النهضة الرقمية

لم يكـن الصعود الهندي فـي المجال الرقمي نتيجة مصادفـة تاريخية، بل جاء ثمـرة عمل مؤسسـي قادته نخـب ربطت التقنيـة بالهوية والسـيادة. إذ نقل هؤلاء الـرواد الهند من موقـع الترقب إلى موقع المبـادرة، عبـر تصـورات يجمعها هدف واحد: بناء قـدرة رقمية وطنية قادرة على خدمة المجتمع.

في هـذا الصـدد يبرز رجـل الأعمال الهنـدي نانـدان موهانـروا نيليكانـي، "فيلسوف البنية التحتية" وصاحب مقولة "ببطء، تتحول الأفـكار إلى أيديولوجيات، ثم إلـى سياسـات، ومن ثم إلـى أفعال"، والـذي نظر إلـى التقنية بوصفهـا إطاراً منظمـا لعلاقة الدولة بالمواطـن، مدافعا عن "المنصـة العامة" التـي تتيح للدولة تهيئـة شـروط الابتـكار دون احتـكار تفاصيلـه. وبجانبـه عمـل ناغاراجـان فيتّـال، "مهنـدس ثـورة البرمجيـات والاتصـالات"، علـى توطيـن المعرفـة لتقليـص التبعية فـي القـرار، مؤكداً أن الاسـتقلال التقني هو الوجه الآخر للقرار السياسي المستقل.

ومـن ثـم، وضع هـؤلاء المؤسسـون حجر الأساس لما يمكن تسميته بـ"الثورة الرقمية الرشيقة"، التي لا تهدف إلى إلغاء الدولـة، بل إلى رقمنـة مفاصلها الحيوية لتصبح أكثر سرعة وشـفافية في التعامل مع مليارات الطلبات اليومية.

ولـم يعمل هؤلاء الرواد فـي عزلة، بل انضم إليهم حشدٌ من الكفاءات العائدة من الخارج؛ نخبٌ صقلتها بيئة هندية شـديدة التعقيد، حيث تتشـابك التحديات اللغوية والإثنية والدينية في نسـيج لا يرحم. هذه الخبـرة القاسـية ولّدت أنظمـةً لا تعرف الوهن، قادرةً على تطويـع أعتى الظروف التقنية وتأمين الخدمة لملايين المواطنين فـي وقت واحـد، حتى في أقاصـي القرى النائية.

فلسفة الابتكار المقتصد: رقمنة البيروقراطية

يقـوم جوهـر المدرسـة الهندية على "الابتـكار المقتصـد"؛ وهو منهج يسـعى لبنـاء أنظمة فعالـة بموارد محـدودة. لم يعـد "الابتكار المقتصد" مجرد اسـتجابة لندرة الموارد، بل اسـتحال منهجا إداريا عابـرا للأزمـات. ففي المختبـر الهندي لا تُحـل المعضـلات بالإنفـاق البذخي، بل بذكاء التصميم ودقة التنسـيق؛ إذ تحولت المعاناة في القاعدة الشـعبية إلى بوصلة تملي على الدولـة كيف تبتكر حلولاً تقنيةً ذات أثـر أوسـع، متمـردةً علـى التقاليد البيروقراطية الثقيلة.

لذلـك، اعتمـدت الهنـد إسـتراتيجية "التطويـق الرقمـي" لتجـاوز عقبات البيروقراطيـة والفسـاد دون انتظار إصلاحهـا جذرياً، عبر تقديم حلول تتكيف مـع المـوارد المحـدودة لضمـان عدالة الوصول إلى الخدمـات. وبالتالي، انتقلت الدولة مـن فرض الحلول مـن الأعلى إلى ابتكارهـا من رحـم المعاناة فـي القاعدة الشـعبية (من الأسـفل). ولم يقف الطموح عنـد حـدود البرمجيـات، بل تجسـد في مبادرة "اصنع في الهند" التي رفعت حصة الهواتف المصنوعة محلياً من 26 في المئة عام 2014 إلـى 99.2 في المئة بحلول نهاية 2024، بالتوازي مع اسـتثمارات في أشباه الموصلات قاربت 18.3 مليار دولار. بحيث خلق هـذا التكامل دورة ابتـكار متكاملة، محـولاً التحديـات البنيويـة إلـى ميزة تنافسية دولية راسخة.

يمثل هـذا النهج "مدرسـة في تعميم الابتكار"؛ حيث لا يعود التقدم التكنولوجي حكـراً علـى مراكـز الأبحـاث النخبوية، بـل يصبح أداة فـي يد المواطـن العادي للوصول إلى الخدمات المالية والتعليمية والصحية، ممـا يعزز مفهـوم "المواطنة الرقميـة" كحـق أصيـل وليـس امتيازا للنخبـة. وبموجبه، تحـولـت التكنولوجيا إلى "محرك للصعود الطبقي"، حيث تتيح الفرص الاقتصادية لشـرائح كانت مهمشة تاريخيـا، ممـا يخلـق توازنـا جديدا في معادلة القوة داخل المجتمع.

فـي المقابـل، لا يغيـب عن المشـهد التحليلـي للنظام الرقمـي الهندي وجود مخاوف حقوقيـة جادة؛ إذ تُشـير تقارير دولية ومحلية إلى أن الاعتماد المكثف على نظام الهوية الرقمية يثير تسـاؤلات حول إمكانية استغلاله كأداة للمراقبة الجماعية أو فرض قيود علـى الخصوصية، خاصة في سـياق التعامل مع الأقليـات والفئات الأكثر ضعفاً.

ويرى المنتقدون أن ربط كافة الخدمات الحكوميـة والمالية بهويـة رقمية مركزية يمنح الدولة قدرة غير مسـبوقة على تتبع أنمـاط حياة الأفراد، وهو ما قد يُسـتخدم في تقييد الحريات السياسـية أو التمييز الاجتماعـي إذا لم تخضع هـذه العمليات لرقابة قضائية مستقلة وشفافة، مما يضع الهنـد أمام اختبار ديمقراطي مسـتمر في كيفية المواءمـة بين كفاءة الإدارة الرقمية وحمايـة الحريـات الفرديـة مـن التغول السلطوي.

السيادة عبر «البنية التحتية العامة الرقمية»

جـاء "البنـاء الرقمـي المتكامـل" اسـتجابةً لحاجة ملحة لـدى الدولة: كيف توسّـع الوصـول إلـى الخدمـة وتحفظ اسـتقلالها دون الوقـوع بيـن فخـاخ البيروقراطية الثقيلة أو الاحتكار الخاص؟ هنا تحولت البنية التحتية العامة الرقمية إلى ركيزة تمكين إستراتيجية؛ إذ اعتمدت الهنـد علـى "مكـدس الهند" الـذي يربط الهويـة الرقمية الفريدة بنظـام مدفوعات فوري وخزانة وثائـق إلكترونية، مع إطار صارم لمشـاركة البيانـات يمنح المواطن سيادة كاملة على معلوماته.

هذا التصميم لا يفرض منصة مغلقة، بل يخلق "لغة تقنية مشتركة" تتيح للمبتكرين والشـركات الناشـئة بناء تطبيقاتهم فوق قاعـدة عامة، ممـا يعزز الشـمول المالي، ويقلص الفسـاد عبـر إيصـال الدعم إلى مسـتحقيه مباشرة، ويحمي روح المبادرة من هيمنة الاحتكارات الرقمية الكبرى. وقد بلغ هذا التحول ذروته في ديسـمبر 2024، حين عالجت المنظومـة أكثر من 16 مليار معاملة شـهرية، محولةً التجربة من مجرد أداة إدارية إلى "قوة جسـر" معرفية مكنت الهند من الانتقال من تصدير المهارات إلى تصميم المعايير التقنية عالميا.

إدارة الأزمات والتحول الإستراتيجي

برهنت التجربة الهندية، عبر منصات إدارة الأزمـات كبوابة "معـاً ننتصر"، أن القدرة على تنسـيق الجهـود في لحظات الاختبار ليسـت براعة تشغيلية، بل ركيزة للتحـول الإسـتراتيجي. بحيـث تجاوزه المنطـق ليطال بنيـة المجتمع ككل، حيث غدا التعدد الثقافي تحدياً يقتضي هندسةً خوارزمية تعيـد تنظيم هذا التنوع. هكذا، انتقلـت المدرسـة الهنديـة إلـى ابتـكار خوارزميات قادرة على استيعاب البيانات غيـر المهيكلـة، فغـدت حلولهـا أرحـب أفقاً وأشـد مرونة. ومن ثـم، نهض الذكاء الاصطناعـي في الهند لا كتـرف تقني، بل كفرصة تاريخية لإعادة تعريف "ديمقراطية الـذكاء" علـى أسـس أكثر اتصـالاً بنبض المجتمع.

> ربط الخدمات الحكومية والمالية بهوية رقمية يجعل الدولة تستطيع تتبع الأفراد، ما يؤدي إلى تقييد الحريات والتمييز الاجتماعي

لم تكن استجابة الهند للجائحة مجرد إجراءٍ طـارئ، بـل كانت لحظـة "اختبار وجودي" كشـفت صلابة بنيتهـا الرقمية. لقد توجـت "حزمة البرمجيـات الوطنية" فاعليتهـا عبر منصـة "التعـاون الرقمي للتلقيـح"، التـي تحولت مـن أداة إدارية إلى محرك ذكي أعاد رسـم خرائط التوزيع العـادل، لتصبح اليـوم مرجعيـةً عالمية ملهمةً للدول الباحثة عن سيادة حيوية في قلب العواصف.

وبالتالـي، فإن هـذه المنصات لم تكن مجرد تطبيقات إلكترونيـة، بل كانت أداة "سـيادة حيوية" مكنـت الدولة من الحفاظ على وظائفهـا الحيوية في أوقات الانهيار العالمي، ممـا يثبت أن السـيادة الرقمية ليسـت مجرد دفاع سيبراني، بل هي قدرة الدولة على اسـتمرار حياتهـا المدنية في أحلك الظروف. إن هذا النموذج يبرز أيضاً أهميـة "السـيادة الوطنية على سلاسـل البيانـات"، حيث باتـت البيانات الوطنية تُعامل كأصل إسـتراتيجي يُحظر التفريط فيـه، ويُوظـف حصـراً لتعزيـز الصمود القومي.

الدبلوماسية التقنية: «السيادة كخدمة»

تتجلـى ذروة هـذا المسـار فـي الدبلوماسـية التقنية الهندية، التي رفعت "مكدس الهند" من منظومة تشـغيل داخلية إلى مرتبـة النموذج التصديري للسـيادة الرقمية، مما مكن من إنشـاء دبلوماسـية هنديـة قوامها "السـيادة كخدمـة"؛ إذ لا تصـدر نيودلهـي برمجيـات مغلقـة، بل تعـرض منهجية تمكّـن الدول مـن إدارة بيانـات مواطنيهـا وهوياتهـم على نحو مسـتقل، مما يقلل من الارتهـان للموردين العالميين.

وهنـا تتبـدى الدبلوماسـية الرقمية الهنديـة بوصفهـا مشـروعاً أخلاقيـاً وسـيادياً ينهـض علـى وصل الشـمول الرقمـي بالتضامـن التقنـي. ومـن ذلـك اسـتمدت الهند رسـالتها، إذ سـعت إلى تحويـل تجربتهـا الوطنيـة إلـى لغـة تضامن عابـرة للحدود مـع دول الجنوب العالمـي التـي تتقاطـع مـع واقعها في اتسـاع الجغرافيا، وتعدد اللغات، وضغط الحاجات اليومية.

ومن ثم قدمـت للعالم فلسـفة "البناء بالاسـتقلال"، حيث لا تصبح التقنية أداة هيمنـة، بل وسـيلة لتمكين الشـعوب من إدارة أصولهـا الرقميـة ذاتيـاً. وبالتالي فتح هذا التوجه الدبلوماسي آفاقاً جديدة للتعاون التكنولوجـي الدولي القائم على الاحتـرام المتبـادل للسـيادة الرقميـة، بعيداً عن أشـكال الاسـتعمار التقني التي تسـعى لفرض أنماط اسـتهلاكية موحدة، ممـا يجعل من "النموذج الهندي" جسـراً معرفيـاً بيـن التقنيـة والقيم الإنسـانية العالمية التي تنشد المساواة في الوصول إلى الأدوات الرقمية السيادية.

التحديات البنيوية والآفاق المستقبلية

لا يمضـي الصعود الهنـدي في فراغ، بـل يواجـه مصعـده اختبـارات هيكلية وأخلاقيـة. إن المركزيـة الرقمية، على ما تمنحه من كفاءة، تحمل هشاشـة كامنة. إذ لا يقتصر التحدي على المخاطر التقنية، بل يمتد إلى جوهر الاقتصاد السياسي؛ بحيث يظـل النمـوذج الهندي في حالـة "صراع داخلـي" دائـم للحيلولـة دون تحول هذه المنصات إلى أدوات لترسـيخ "رأسمالية المحسوبية" أو تعزيز النزعات الشعوبية التـي توظـف البيانـات لفرض سـردية وطنية أحادية.

أمـام هـذه التحديـات تسـتوجب اسـتدامة "المسـار الهندي" فـي التحول الرقمـي صياغة عقد اجتماعي جديد يدمج بيـن السياسـة والقانون؛ حيـث تتوقف مشـروعية هذا المسـار على قدرة الدولة على تبني إطار قانوني ودسـتوري صارم يُكـرس الخصوصية الرقميـة كحق مدني أصيل، ويجعل من "المساءلة الخوارزمية" أداة قضائيـة ملزمـة للحد من التعسـف السـلطوي، بالتـوازي مع رؤية سياسـية تُصنـف البنية التحتيـة الرقمية بوصفها "منفعـة عامة" محصنة مـن احتكار مراكز القوى؛ فالتكامل بين الحماية التشـريعية والرقابة المؤسسـية هو الضمان الوحيد لمنـع تحـول التكنولوجيـا من وسـيلة للشـمول التنمـوي إلـى أداة للهيمنـة السياسـية والمراقبة، ممـا يضمن توازناً دقيقـاً بيـن فاعليـة الدولـة فـي تقديـم الخدمـات وحمايـة اسـتقلال الفـرد في الفضاء الرقمي.

إن طموح الهند لا يتوقف عند توسـيع نطاق الانتشـار الرقمي، بل يمتد لصياغة "عقـد اجتماعي رقمي" يضع الإنسـان في قلب الخوارزمية. فبينما تسـعى نيودلهي لتعزيز اسـتقلال قرارهـا التقني في وجه التهديـدات السـيبرانية، يبـرز التحـدي الأخلاقي في تطوير خوارزميات مسـؤولة تعكـس تعدديـة الهند البشـرية، لتصبح بذلك مركزاً عالمياً للابتكار الذي لا يتعامل مع المواطن كمعطيـات في قاعدة بيانات، بل كقيمة إنسـانية محمية بقـوة القانون والمنطق الأخلاقي.

لكن الإشـكالية الكبرى التي يواجهها المسـار الهنـدي تكمـن في التوتـر بين "المركزيـة السـيادية" وبيـن التوجهات التقنية العالمية نحو "اللامركزية". فبينما يمنح المكدس الرقمي المركزية قدرة فائقة على التحكم والتنظيم، فإنه يطرح تسـاؤلاً حول قدرة النظام على التكيف مع متطلبات عالم التقنية القادم الذي ينزع نحو تشظي السـيطرة؛ إذ قـد تتحول البنيـة التحتية المركزية -رغـم كفاءتها- إلى نقطة ضعف تقنيـة أو سياسـية إذا تغيـرت بوصلـة السـلطة. لذا، يظل التحدي أمام الهند في إيجاد صيغة تقنيـة "لامركزية التصميم" تسـمح باسـتمرارية سـيادة الدولة، دون أن تجعل مـن هذه المركزيـة قيداً يحصر الابتكار أو يجعله رهناً بقرارات السـلطة المركزية.

نحو «حضارة رقمية» هندية

فـي نهايـة المطـاف، لا يكمـن سـر التجربـة الهندية في ضخامة مكدسـاتها البرمجية أو أرقام مسـتخدميها الفلكية، بـل في كونهـا المختبر الأخلاقـي الأكبر الـذي يُخضع "آلة المسـتقبل" لمتطلبات "الإنسـان". لقـد نجحـت نيودلهـي فـي تحويـل الشـفرة من أداة صمـاء إلى لغة سياسـية قـادرة علـى حماية السـيادة الوطنية وتوسيع رقعة الكرامة الإنسانية فـي آنٍ واحد. ومع صعود هذه "الحضارة الرقميةً"، يجد العالم نفسـه أمام تسـاؤل وجودي: هل سـتتمكن الأمـم من صياغة عقودها الاجتماعية الخاصة داخل الفضاء الرقمي، أم سـتظل مجرد مساحات شاغرة لخوارزميـات القـوى العظمـى؟ إن الهند اليوم لا تقدم مجرد "وصفة تقنية" ناجحة، بل تطرح فلسـفة حكم جديدة تراهن على أن السـيادة في عصر البيانات هي القدرة علـى البقـاء "حـرا، مبدعـا، ومتحكمـا في المصير".

لقـد انطلـق قطـار "الثـورة الرقمية الرشيقة" في الهند بسـرعة كبيرة، وربما تكون هـذه التجربة هي الحجر الأسـاس الذي سـيبني عليه العالـم نظامه التقني القادم؛ عالمٌ لا يختار بين الكفاءة والحرية، بل يجعلهمـا وجهين لعملـة واحدة. فهل نحـن بصدد عالـم جديـد، أم أن التجربة الهنديـة هـي مجرّد اسـتثناء فـي عصر يميل فيه الجميع نحـو الاحتكار؟ وحدهاً الأيام القادمـة، وتطورات هذه "السـيادة الخوارزمية"، كفيلة بالإجابة.

من اجل هوية رقمية خاصة

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

انقسام نقدي يعمق أزمات الاقتصاد المنهك في السودان

مؤشرات على نشوء سلطة موازية وتداول عملات خارج الإطار الرسمي

تتسع تداعيات الحرب في السودان لتطال الاقتصاد على نطاق أوسع، مع بروز مؤشرات على نشوء سلطة نقدية موازية وتداول عملات خارج الإطار الرسمي، وهو ما يثير مخاوف من انقسام النظام المالي وتزايد الضغوط على الجنيه المنهار أصلا.

الخرطوم - تتجه حرب السودان نحو إعادة تشكيل موازين النفوذ لتشمل الاقتصاد، مع نشوء هياكل مالية موازية تقودها الحكومة التي شكلها التحالف التأسيسي بقيادة قوات الدعم السريع، في خطوة تهدف إلى إدارة النشاط النقدي داخل مناطق سيطرتها.

وأثار تعيين حسين يحيى جنقول محافظاً لبنك مركزي مواز بمدينة نيالا بإقليم دارفور في مايو الماضي موجة من الجدل، وسط احتمال ظهور سلطة نقدية موازية، وما قد ينجم عنه من تداعيات على وحدة النظام المالي واستقرار العملة وحركة التجارة والاستثمار.

ويحذر البعض من أن استمرار إنشاء مؤسسات موازية قد يقود إلى وجود نظامين مصرفيين داخل الدولة، بما يحمله ذلك من مخاطر على الاستقرار النقدي ومستقبل الاقتصاد.

وكانت الحكومة الموازية، التي لا تحظى بأي اعتراف دولي، قد أصدرت قراراً بإنشاء مجلس عملة انتقالي يتولى الإشراف على تداول النقد وتنظيم الأنشطة المصرفية، إلى جانب تنفيذ برنامج لاستبدال العملات بالتنسيق مع المحافظ الجديد.

وتصاعد الجدل بعد تداول تقارير تحدثت عن ظهور أوراق نقدية تحمل توقيع جنقول من فئتي 500 وألف جنيه، مؤرخة بشهر مايو 2022، وهي فئات سبق أن أوقفت الحكومة المركزية التعامل بها ضمن عملية استبدال العملة التي بدأت أواخر 2024 وانتهت في مايو الماضي.

ويشهد السودان منذ منتصف أبريل 2023 حرباً بين الجيش وقوات الدعم السريع أسفرت عن مقتل عشرات الآلاف وتشريد ملايين الأشخاص داخل البلاد وخارجها.

محمد مصطفى

أي انقسام سيقود إلى اضطراب الأسعار وتراجع العملة

وكانت فئة الألف جنيه، التي جرى إلغاؤها تدريجياً، تعادل قبل اندلاع الحرب نحو 1.8 دولار في السوق الموازية، قبل أن تتراجع قيمتها إلى نحو 25 سنتاً حالياً، مسجلة خسارة تقارب 75 في المئة خلال ثلاث سنوات.

وانتقد بنك السودان المركزي التابع للحكومة الرسمية خطوة تعيين محافظ وتداول عملات قديمة، في حين أفاد تجار وسكان في دارفور بظهور هذه الفئات في أسواق نيالا ومناطق أخرى، مع تقارير تشير إلى استخدامها في دفع رواتب عناصر قوات الدعم السريع.

وقال التاجر أحمد عبدالرحمن، صاحب نشاط في سوق نيالا الكبير، لوكالة شينخوا إن "هذه الأوراق النقدية بدأت تنتشر بشكل متزايد خلال الأشهر الأخيرة".

وأشار إلى أن بعض التجار يقبلون التعامل بها، بينما يتحفظ آخرون بسبب الغموض القانوني، مضيفاً أن "حالة عدم اليقين دفعت بعض المتعاملين إلى رفع الأسعار تحسباً لأي تراجع محتمل في قيمتها".

ويؤكد محمد آدم، وهو موظف يقيم في نيالا، أنه تسلم جزءاً من مستحقاته بهذه الفئات، موضحاً أن التعامل بها قائم في الأسواق اليومية، إلا أن القلق يسيطر على المواطنين بشأن إمكانية استخدامها خارج دارفور أو استبدالها عبر النظام المصرفي الرسمي مستقبلا.

وأشار إلى تساؤلات متزايدة حول مصير المدخرات التي لدى السودانيين في ظل الانقسام النقدي.

وأثارت هذه التطورات تساؤلات بين الخبراء حول احتمال دخول البلد مرحلة جديدة من الانقسام الاقتصادي، تتجسد في وجود سلطتين نقديتين ونظامين مصرفيين داخل الدولة الواحدة، مع ما يحمله ذلك من تداعيات على قيمة العملة وحركة التجارة والاستثمار.

ويرى الخبير عبدالخالق محجوب أن هذه الخطوة تمثل تهديداً مباشراً لوحدة الاقتصاد، مؤكداً أن المركزي ليس مؤسسة إدارية قابلة للاستنساخ، بل الجهة الوحيدة المخولة بإدارة السياسة النقدية وإصدار العملة.

وحذر في تصريح لشينخوا من أن أي انقسام في هذه الوظيفة السيادية سيؤدي إلى اضطرابات واسعة في الأسواق.

ويتفق معه الخبير محمد مصطفى، الذي أشار إلى أن أي انقسام نقدي سيقود إلى اضطراب الأسعار وتراجع قيمة العملة المحلية.

> **وجود نظامين مصرفيين يعقد المقاصة والتحويلات والتجارة ويفتح الباب أمام المضاربات واتساع الفجوة بين أسعار الصرف**

وأوضح أن الفئات المتداولة خارج النظام الرسمي لا تحظى باعتراف محلي أو إقليمي، وأن ضخ النقد دون رقابة سيؤدي إلى تآكل الثقة وزيادة الاعتماد على العملات الأجنبية، خاصة في المناطق الحدودية.

وبحسب مصطفى، فإن وجود سلطتين نقديتين قد يفرز أسعار صرف مختلفة بين مناطق السيطرة، بحيث تتحدد قيمة الجنيه وفقاً للوضع العسكري والإداري لكل منطقة، ما يهدد وحدة السوق ويعقد عمليات التجارة والتحويلات المالية.

كما حذر المحلل الاقتصادي أيوب عبدالحفيظ من أن مؤسسة "بنك المستقبل" في مناطق سيطرة الدعم السريع قد تتحول إلى نواة لنظام مصرفي موازٍ.

ولفت إلى أن الأوراق المتداولة ليست جديدة، بل طُبعت خلال فترة تولي جنقول منصب محافظ البنك المركزي، مرجحاً خروجها من مخازن البنك خلال الحرب.

وأكد عبدالحفيظ أن ضخ كميات كبيرة من النقد دون غطاء إنتاجي ساهم في تراجع القوة الشرائية وارتفاع التضخم، مشيرا إلى أن السلطات الرسمية لجأت سابقاً إلى تغيير توقيع العملة وسحب الفئات الكبيرة للحد من انتشار النقد خارج المنظومة المصرفية.

في المقابل، قدم الخبير الاقتصادي آدم إسحاق رؤية مختلفة، معتبراً أن الأزمة ترتبط بانهيار مؤسسات الدولة في أجزاء واسعة من البلاد أكثر من ارتباطها بإنشاء مؤسسات مالية جديدة.

وقال إن السودانيين في غرب السودان "باتوا خارج نطاق الخدمات المصرفية، ما فرض الحاجة إلى هياكل مالية بديلة لإدارة النشاط الاقتصادي".

وأوضح إسحاق أن إنشاء مجلس العملة وتعيين محافظ يمثلان محاولة لملء فراغ مؤسسي فرضته الحرب، وليس مشروعاً لتقسيم الاقتصاد، مؤكداً أن نجاح التجربة يعتمد على القدرة على ضبط الكتلة النقدية وكسب ثقة السودانيين.

ومن زاوية مهنية، يعتقد المصرفي محمد عبدالله أن جوهر الأزمة يتمثل في مسألة الشرعية والثقة، موضحاً أن قيمة العملة لا تستمد من الورق، بل من الاعتراف المؤسسي والقدرة على إدارة السياسة النقدية واستقرار الأسعار.

وأشار إلى أن وجود نظامين مصرفيين سيفرز تحديات كبيرة في المقاصة والتحويلات والتجارة، وقد يفتح الباب أمام المضاربات واتساع الفجوة بين أسعار الصرف.

حرب إيران تضغط على أعمال قطاع الطيران في أفريقيا

نيروبي - تشكل الحرب في إيران اختباراً جديداً لقدرة قطاع الطيران الأفريقي على الصمود، في ظل تصاعد حاد في أسعار الوقود واضطراب سلاسل الإمداد العالمية، ما يفاقم الضغوط على شركات تعاني أصلاً من هوامش ربح محدودة وتحديات هيكلية عميقة.

وفرض الواقع الجديد على معظم شركات الطيران في القارة مراجعة مساراتها وإثارة مخاوف جديدة بشأن استقرار شبكة الطيران في القارة.

وتمثل صناعة الطيران أحد المحركات الاقتصادية المهمة للكثير من دول أفريقيا، ليس فقط من خلال إيرادات شركات القطاع، بل أيضًا عبر مساهمتها في السياحة والتجارة والاستثمار وتوفير فرص العمل.

وتقول الرابطة الأفريقية لشركات الطيران (أفرا) إن الأزمة كشفت عن اعتماده الكبير على وقود الطائرات المكرر المستورد، مما ترك شركات الطيران عرضة للصدمات العالمية.

وكانت شركات الطيران في القارة تدفع بالفعل حوالي 17 في المئة أكثر مقابل وقود الطائرات مقارنة بالمعدل العالمي قبل حرب إيران، وفقًا لأفرا. وتؤدي ضغوط الأسعار الجديدة إلى زيادة الهوامش الضئيلة بالفعل في جميع أنحاء القطاع.

عبدالرحمن بيرث

الشركات بدأت في مراجعة نشاطها للتأقلم مع الوضع

وقال عبدالرحمن بيرث، الأمين العام للرابطة، لوكالة أسوشيتد برس إن "التأثير رهيب والصدمة كبيرة لأعضائنا". وأضاف "يمثل الوقود ما بين 30 و40 في المئة من تكاليف تشغيل شركات الطيران. وأي زيادة تؤثر بشكل مباشر على ميزانياتها العمومية".

وتراقب صناعة الطيران عن كثب مضيق هرمز، وهو ممر عالمي رئيسي للطاقة يتدفق عبره نحو خمس النفط والوقود في العالم قبل أن تغلقه إيران فعليا أمام الشحن في بداية حرب الشرق الأوسط التي أعلنتها الولايات المتحدة وإسرائيل في فبراير الماضي.

وبالنسبة لشركات الطيران في بلدان القارة، تتفاقم التأثيرات بسبب القيود الهيكلية، بما في ذلك ارتفاع تكاليف المشتريات وضعف القدرة على استيعاب الصدمات.

ويرى بيرث أن بعض شركات النقل فرضت رسوما إضافية على الوقود، لكن معظمها لا يستطيع نقل الزيادة الكاملة إلى الركاب، مما يجبرهم على استيعاب الخسائر. وقال "لا يمكنهم نقل هذه التكاليف إلى الركاب لأن ذلك سيؤثر على الطلب".

وأوضح أن انقطاع الإمدادات أثار أيضا مخاوف في المحاور الرئيسية بما في ذلك نيروبي عاصمة كينيا وأديس أبابا عاصمة إثيوبيا، حيث يعد التوافر المستمر لوقود الطائرات أمرًا بالغ الأهمية للعمليات الإقليمية والدولية.

وأضاف أن "بعض شركات الطيران بدأت بالفعل في تعديل الشبكات وخفض الترددات ومراجعة المسارات لإدارة التكاليف المتزايدة وعدم اليقين".

وجددت الأزمة الدعوات الموجهة إلى أفريقيا لتعزيز قدرات التكرير المحلية وتقليل الاعتماد على وقود الطائرات المستورد.

وقال بيرث "نحن بحاجة إلى حلول أفريقيا"، مشيرا إلى أن "العديد من الدول الأفريقية تنتج النفط، لكننا ما زلنا نعتمد على الموردين غير الأفارقة لوقود الطائرات المكرر".

ويتحول الاهتمام بشكل متزايد إلى مشاريع مثل مصفاة دانجوت في نيجيريا، والتي من المتوقع أن تلعب دورا متزايدا في توفير الوقود المكرر في جميع أنحاء المنطقة، بما في ذلك دول مثل كينيا وإثيوبيا وجنوب أفريقيا.

ويضم قطاع الطيران في أفريقيا عشرات شركات الطيران التجارية والحكومية والإقليمية، إذ تشير تقديرات الصناعة إلى وجود أكثر من 150 شركة طيران عاملة بدرجات متفاوتة من الحجم والنشاط.

وتضم عضوية الرابطة الأفريقية لشركات الطيران عشرات الناقلات التي تمثل الجزء الأكبر من حركة النقل الجوي في القارة.

وتُظهر بيانات الرابطة أن معظم الشركات لا تزال صغيرة نسبيًا، حيث ينقل نحو 81 في المئة منها أقل من مليوني مسافر سنويًا، كما أن 80 في المئة منها تشغل أساطيل لا تتجاوز 15 طائرة، ما يعكس الطبيعة المجزأة للسوق الأفريقية مقارنة بالأسواق العالمية الكبرى.

ومن حيث حجم النشاط الاقتصادي، تُقدّر إيرادات صناعة الطيران الأفريقية بنحو 3 في المئة فقط من إجمالي إيرادات صناعة الطيران العالمية، في حين تتجاوز الإيرادات السنوية الإجمالية للقطاع على مستوى القارة عشرات المليارات من الدولارات.

150

شركة طيران تجارية وحكومية وإقليمية تعمل في أفريقيا بدرجات متفاوتة من الحجم والنشاط

حمى الذهب تدفع بعض الساعات الفاخرة القديمة إلى الصهر

لندن - تألقت ساعة أوميغا كونستليشن في الحملات الإعلانية والأفلام وفي حفل ميت غالا على يد نجوم مثل جورج كلوني ونيكول كيدمان، ما جعلها رمزًا للفخامة والأناقة.

لكن مع اقتراب أسعار الذهب من مستويات قياسية بلغتها مع مطلع عام 2026، يتم صهر بعض هذه الساعات الكلاسيكية لأن قيمة محتواها المعدني تتجاوز قيمتها عند إعادة البيع.

وبحسب مقابلات أجرتها رويترز مع أكثر من 12 تاجرًا وخبيرًا في الصناعة ومستشارًا استثماريًا، فإنّ الساعات المستعملة من علامات تجارية مثل أوميغا وتاغ هوير التابعة لمجموعة آل.في.أم.أتش هي الأكثر تضررًا من هذا التوجه.

وفي مايو، قام التاجر البريطاني جون وايت، صاحب شركة غولد تريدرز، بصهر ساعة كونستليشن عيار 18 قيراطًا من أواخر سبعينات القرن الماضي، كانت في حالة ممتازة.

وتعد هذه الساعة واحدة من عشرات الساعات الفاخرة التي تخلص منها هذا العام مع ارتفاع الطلب على الذهب للاستثمار.

وقال وايت، الذي يدير أيضًا دار مزادات، لرويترز "ساعة جميلة. لكن في الواقع، لو عرضها صاحبها في مزاد، فماذا كان سيجني؟".

وبلغت قيمة الذهب في ساعة كونستليشن، وهي واحدة من بين العديد من الموديلات التي أنتجتها أوميغا المملوكة لمجموعة سواتش، 5750 جنيهًا إسترلينيًا (7749 دولارًا أميركا).

ووفقًا لوايت، فإن هذا المبلغ أعلى بمقدار 35 في المئة من قيمتها التقديرية في المزاد التي تراوحت بين 4 آلاف و4500 جنيه إسترليني.

ويؤكد جيمس لامدين، مؤسس وحدة أنالوج شيفت التابعة لشركة واتشز أوف سويتزرلاند المتخصصة في الساعات المستعملة، أن عملية صهر الساعات "تحدث بشكل رئيسي مع الساعات المستعملة الحديثة، وكذلك مع الساعات القديمة التي لم تعد تُعتبر من مقتنيات هواة الجمع".

> **ساعات أوميغا وتاغ هوير متوسطة السعر أكثر عرضةً للتلف من ساعات رولكس وباتيك الفاخرة**

وارتفعت أسعار الذهب إلى مستوى قياسي بلغ 5600 دولار للأونصة في يناير، حيث دفعت المخاوف الجيوسياسية والتجارية المستثمرين نحو المعادن الثمينة كملاذ آمن.

ويحوم سعر الذهب حاليًا حول 4200 دولار للأونصة، أي ما يقارب ضعف متوسط سعره في عام 2024. ومع ذلك، لم يتحرك سعر سوق الساعات المستعملة بنفس الطريقة.

ويقول أدريان هايلوود، المتخصص في تاريخ صناعة الساعات، "أجد الأمر محزنًا للغاية، لأنه من الواضح أنه بمجرد صهر شيء ما، فإنه يضيع إلى الأبد".

ولا توجد إحصاءات رسمية تُظهر عدد الساعات الفاخرة التي يتم صهرها، الأمر الذي يعيق معرفة قيمة الكميات التي تم صهرها للمعدن النفيس.

وتُظهر بيانات مجلس الذهب العالمي ارتفاعًا بنسبة 5 في المئة في إعادة تدوير الذهب خلال الربع الأول من 2026، ليصل إلى 366 طنًا، بينما ارتفع الطلب على المجوهرات الذهبية بنسبة 31 في المئة ليصل إلى 47 مليار دولار.

وتحتوي الساعات على كميات تتراوح بين شظايا من الذهب وأكثر من 200 غرام، ما يعني أن قيمتها كخردة قد تصل إلى عشرات آلاف الدولارات. وفي ساعة أوميغا كونستليشن، يوجد الذهب في العلبة والسوار.

جيمس لامدين

العملية تستهدف أيضا تلك الساعات المستعملة الحديثة

ومع توقعات بوصول سعر الذهب إلى ما بين 5400 و6300 دولار للأونصة هذا العام، سيستمر الضغط لتفكيك بعض الساعات، خاصةً مع اضطرار التجار الذين يعيدون بيعها إلى تغطية التكاليف ونفقات تقديم الضمان.

وقد يُعاد تدوير الساعات الجديدة التي يتم إنتاجها بكميات زائدة. ويقول لامدين "لقد رأيتُ الكثير من الساعات الرديئة يُعاد تدويرها".

وهناك فائض كبير من الساعات غير المبيعة في السوق السويسرية. وهذه الساعات جديدة تمامًا، لم تُلبس قط، ويجري تفكيكها فقط.. لقد صُنع منها الكثير، لكن عندما يتعلق الأمر بساعة عتيقة ونادرة تحمل في طياتها قصة أو أثرًا مميزًا، يصبح الأمر كارثيًا.

وأفاد خبراء في الصناعة لرويترز بأن العلامات التجارية الفاخرة التي تُدير إنتاجها الجديد بدقة، مثل باتيك فيليب ورولكس المملوكتين للقطاع الخاص، تُحقق أعلى أسعار تتجاوز قيمتها الأصلية.

وبالنسبة لبعض الموديلات، "قوائم الانتظار فلكية. نتحدث عن فترة تتراوح بين سنتين وثماني سنوات"، كما قال سيمون لازاروس، رئيس قسم العلاقات العامة والمحتوى في منصة كرونو هانتر الإلكترونية للساعات الفاخرة.

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

تضامن خليجي مع الإمارات وقطر في مواجهة الابتزاز الإعلامي

حملات تضليل تستهدف أبوظبي من قوى تبحث عن فرض أجنداتها

أدان مجلس التعاون الخليجي الحملات الإعلامية المضللة المستهدفة للإمارات وقطر، وجدد تضامنه الكامل معهما ضد أي محاولات للنيل من سمعتهما أو إنجازاتهما.

أبوظبي - أعربت الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية عن استنكارها الشديد ورفضها القاطع للحملات الإعلامية المضللة والممنهجة التي تستهدف كلاً من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر.

وأكد الأمين العام لمجلس التعاون جاسم محمد البديوي أن هذه المزاعم تفتقر إلى المصداقية والأسس الموضوعية، وتأتي لتقويض الجهود المخلصة التي تبذلها دول مجلس التعاون لترسيخ الأمن والاستقرار وتعزيز الحوار والتعاون بين دول المنطقة.

وأوضح الأمين العام أن دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر قدمتا على مدى السنوات الماضية نموذجاً رائداً في تبني السياسات الداعمة للاستقرار الإقليمي، من خلال مساهماتهما الفاعلة في تقريب وجهات النظر، ودعم المساعي الدبلوماسية، وتعزيز التعاون الدولي لمعالجة التحديات والأزمات التي تشهدها المنطقة، بما يعكس نهجاً مسؤولاً يهدف إلى ترسيخ الأمن وتحقيق التنمية والازدهار لشعوبها.

وجدد المجلس تضامنه الكامل مع البلدين في مواجهة أي محاولات مشبوهة تهدف إلى النيل من مكانتهما الدولية أو التقليل من إنجازاتهما التنموية والدبلوماسية. وأكد البيان أن أمن واستقرار وسمعة دول المجلس هي وحدة واحدة لا تتجزأ في وجه التحديات الخارجية.

ويقول مراقبون إن توقيت صدور هذا البيان يحمل دلالات سياسية وإستراتيجية بالغة الأهمية؛ فهو يأتي كحائط صد خليجي جماعي لحماية "القوة الناعمة" المتصاعدة لأبوظبي والدوحة.

وجاء الموقف الرسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة حاسماً ومباشراً بالتزامن مع الحراك الدبلوماسي لمجلس التعاون الخليجي ردا على الحملات المضللة، حيث أصدرت وزارة الخارجية الإماراتية بياناً رسمياً نفت فيه بشكل قاطع الادعاءات المغرضة الموجهة ضدها. وأكدت أبوظبي بطلان التقارير التي نشرتها وسائل إعلام دولية وزعمت فيها نقل أو تحويل مبالغ مالية إلى إيران، بما في ذلك المزاعم المتعلقة بمبلغ 3 مليارات دولار.

جاسم محمد البديوي

المزاعم تفتقر إلى المصداقية والأسس الموضوعية

وشددت الخارجية على أنه لم يتم الإفراج عن أي أموال إيرانية مجمّدة أو نقلها عبر النظام المصرفي للإمارات، داعية وسائل الإعلام الدولية إلى الالتزام بالمصداقية والموضوعية والتحقق من مصادرها قبل تداول الأخبار التي تفتقر للأسس الواقعية.

ويرتبط استهداف النموذج الإماراتي بحملات التضليل الإعلامي الممنهجة بشكل وثيق بالمتغيرات الجيوسياسية والعسكرية الراهنة في المنطقة؛ حيث سعت منصات إعلامية غربية موجهة إلى إقحام اسم أبوظبي والدوحة في ملفات الحروب والترتيبات الأمنية الدقيقة المرتبطة بالمفاوضات الحالية.

وتتزامن هذه الحملات بشكل مريب مع الجهود والوساطات الجارية للتوصل إلى اتفاقات سلام شاملة لإنهاء الصراعات، مما يوضح أن الهدف الأساسي من فبركة التقارير، مثل مزاعم تسهيل نقل أموال مجمّدة عبر النظام المصرفي، هو محاولة التشويش على دور الإمارات الدبلوماسي، والضغط على كواليس هذه المفاوضات الحساسة لخدمة أجندات أطراف خارجية.

وفي عمق المشهد، تسعى هذه الحملات إلى التشكيك في الموقف الدبلوماسي المستقل الذي تبنته دولة الإمارات تاريخياً تجاه الصراعات المسلحة. هذا التوازن السياسي، والرفض الإماراتي للارتهان لإملاءات القوى الكبرى، جعلها هدفاً لابتزاز إعلامي ممنهج يحاول تصوير مواقفها على غير حقيقتها، بغرض جرّها نحو تجاذبات أو محاور عسكرية معينة تفضل أبوظبي النأي بنفسها عنها حفاظاً على استقرار المنطقة ومصالحها الوطنية العليا.

علاوة على ذلك، تستهدف التقارير المغرضة ضرب المصداقية الأمنية والاقتصادية لدولة الإمارات في وقت تشهد فيه المنطقة مراجعات أمنية كبرى تتعلق بحماية خطوط الملاحة البحرية وأمن الطاقة العالمي. فنشر الشائعات حول المنظومة المالية أو السياسية للإمارات في هذا التوقيت بالذات يهدف إلى زعزعة الثقة الدولية في دورها كصمام أمان للاستقرار الإقليمي.

وتسعى بعض المنصات الموجهة إلى تشويه الحقائق ونشر معلومات مغلوطة للتأثير على بيئة الأعمال والسياحة القوية في البلدين. ومع ذلك، فإن هذه المحاولات غالباً ما تصطدم بالحقائق على الأرض ومؤشرات التنافسية العالمية التي تبوّأت فيها الإمارات وقطر مراكز صدارة متقدمة.

وشدد أنور قرقاش، المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات، على أن حملات التشويه والأخبار الكاذبة التي تستهدف الإمارات لن تثنيها عن مواصلة دورها الريادي التنموي والسياسي، مؤكداً أن النجاح الإماراتي يستند إلى إنجازات حقيقية على الأرض وليس إلى مهاترات إعلامية.

وأشار الشيخ سيف بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية، في مناسبات عدة إلى أن استقرار الإمارات وأمنها الاقتصادي والاجتماعي محصن بالوعي الشعبي والسياسات الحازمة، وأن المنصات الموجهة التي تحاول بث الشائعات تفشل دائماً أمام الشفافية الإماراتية.

ويؤكد الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية، باستمرار في المحافل الدبلوماسية أن السياسة الخارجية للإمارات قائمة على بناء الجسور والشراكات الدولية المتوازنة، وأن الدولة متمسكة بالمعايير والقوانين الدولية في كافة تعاملاتها المالية والسياسية.

استقرار محصن بالوعي

تتطلب مواجهة هذه التحديات الإعلامية صياغة إستراتيجية خليجية موحدة تتجاوز البيانات التضامنية إلى العمل التنفيذي المشترك.

ويشمل ذلك تفعيل دور المنظومة الإعلامية الخليجية الرسمية لدحض الشائعات فوراً، وتعزيز آليات الرصد الرقمي للتصدي للحسابات الوهمية والمنظمات المسيسة. إن الاستمرار في بناء الشراكات الدولية وإبراز الإنجازات الحقيقية بوعي وشفافية يظل السلاح الأقوى لحصانة السمعة الخليجية وإحباط أجندات التضليل الإعلامي.

كيف أصبحت ألعاب الفيديو أبرز مظاهر القوة الناعمة؟

لندن - لم تُسفر الانتخابات الرئاسية الأميركية لعام 2024 عن فائزين كثر في مجال استطلاعات الرأي. كانت شركة JL Partners البريطانية من بين الشركات القليلة التي لم تكتف بتوقع فوز دونالد ترامب بالانتخابات الرئاسية، بل حددت بدقة نسبة فوزه في المجمع الانتخابي (312 – 226) قبل شهر من فوزه.

كيف فعلوا ذلك؟ ببساطة، سألوا اللاعبين.

كما يروي خبير صناعة الألعاب جورج أوزبورن في كتابه "لعبة القوة"، تمكنت JL Partners من كشف دعم جمهوري غير متوقع بين الناخبين الشباب من ذوي الأصول الأفريقية واللاتينية، وهو دعم لم تكشفه استطلاعات الرأي عبر الإنترنت، ويعود الفضل في ذلك إلى حد كبير إلى استطلاعات الرأي داخل ألعاب الهواتف المحمولة. كتب جيمس جونسون، المؤسس المشارك لشركة JL Partners، لاحقًا "لقد استطعنا الوصول إلى ناخبي ترامب المراوغين، الذين يقل احتمال ثقتهم في استطلاعات الرأي، أو الذين لا يملكون الوقت الكافي لملئها، وذلك من خلال التواصل معهم في حياتهم اليومية".

لم تعد ألعاب الفيديو مجرد هواية أو شكل من أشكال الفن. لقد أصبحت ساحة معركة رقمية للمصالح التجارية والحكومية. يقول أوزبورن، الرئيس السابق لقسم الاتصالات في جمعية Ukie التجارية، إن كتاب "Power Play" يروي "قصة كيف أصبحت ألعاب الفيديو قناةً للتأثير السياسي". لكن هذا ربما لا يُوفي حقها من حيث تحوّلها إلى أحد أبرز مظاهر القوة الناعمة في العالم.

ويضيف أوزبورن "ما يحدث في العالم الرقمي يؤثر بشكلٍ ملموس على واقعنا المادي".

لنأخذ السعودية كمثال. في سبتمبر من العام الماضي، دخلت المملكة في شراكة مع مجموعة أفينيتي بارتنرز الاستثمارية التابعة لجارد كوشنر، ومجموعة سيلفر ليك الأميركية للاستثمار المباشر، في محاولة للاستحواذ على شركة إلكترونيك آرتس، الشركة المطورة لسلاسل ألعاب Battlefield وThe Sims و Madden، مقابل 55 مليار دولار. يُعدّ هذا الاستحواذ جزءًا من تحوّل المملكة نحو الترفيه الرقمي؛ فقد استحوذت أيضًا على ألعاب مثل Pokémon Go وMonopoly Go! وأنشأت منظمة تُدير أكبر بطولة احترافية للرياضات الإلكترونية في العالم.

يقول أوزبورن "تُدرك السعودية أن القوة الناعمة تكمن في استقطاب الناس إليها بأسلوب غير مباشر". ويضيف "عندما تُدمج القوة الناعمة مع البُعد الاقتصادي، فإنها في نهاية المطاف تربط النوايا الحسنة بالحوافز المالية".

في حين أن ولي العهد الأمير محمد بن سلمان يُمكنه على الأقل الادعاء بأنه كان لاعبًا منذ صغره (ويُقال إنه مُغرم بلعبة "كول أوف ديوتي")، فإن تسريع شي جينبينغ لانخراط الصين في هذا المجال يبدو أكثر واقعية. فمع وجود 700 مليون شخص في البلاد يلعبون ألعابًا من نوع ما، فرضت بكين قوانين ترخيص تُحدد الألعاب المسموح بنشرها، وبرامج تتبع للتأكد من معرفة من يلعبها.

كما يقول أوزبورن "حوّلت الصين ألعاب الفيديو عبر الإنترنت إلى امتداد لدولة المراقبة". ويتجلى هذا بوضوح في استغلال الحكومة لإدمان ألعاب الفيديو كسلاح. ففي عام 2019، ورغم غياب دراسات دقيقة تثبت الضرر، أضافت منظمة الصحة العالمية "اضطراب الألعاب" إلى أحدث تصنيف دولي للأمراض، إلى جانب تعاطي المخدرات والمقامرة. وبعد خمسة أشهر، عدّلت الصين قوانينها لإلزام مطوري الألعاب بتحديد هوية لاعبيهم لتتبع وقت اللعب والإنفاق داخل اللعبة، بحجة حماية الصحة العامة.

يضفي استخدام الألعاب بُعدًا جديدًا على عملية تحديد الهوية، لكنها تبقى قائمة. يقول أوزبورن "يُضيف ذلك طبقة أخرى تُمكّن الدولة الصينية من المراقبة والتقييم، وفي نهاية المطاف، تشديد شبكتها الرقابية".

في الصين، يُمثّل لعب الألعاب مفاضلةً بين الترفيه والحريات الشخصية؛ أما في روسيا، فالأمر أكثر خطورة. ويتجلى ذلك بوضوح في أجهزة التحكم بالألعاب التي يستخدمها طيارو الطائرات المسيّرة الروس والأوكرانيون في النزاع الدائر. ومن بين المحاولات الأكثر سريةً، محاولات القرصنة ضد شركة تطوير الألعاب الأوكرانية "جي إس سي جيم وورلد"، أو دعم القوات المسلحة الروسية لتطوير ألعاب مثل "سكواد 22: زوف"، وهي لعبة إستراتيجية مجانية تُركّز على فرقة من الجنود تُشارك في غزو أوكرانيا. تدور حربٌ افتراضية بالوكالة بين البلدين، ويُصبح بعض اللاعبين مشاركين فيها دون علمهم.

لا تُكلل هذه الجهود بالنجاح دائمًا، ولا تحظى بتغطية إعلامية واسعة، لكنها مستمرة وتهدف إلى إثارة البلبلة. يقول أوزبورن "إنها ببساطة محاولةٌ لإحداث ضجةٍ كبيرة". أدركت روسيا أن الألعاب تحتل مكانة مركزية في هذه المجتمعات الرقمية المترابطة. وما يحدث داخل هذا الفضاء، ولاسيما الخلافات، قد ينتشر بسرعة كبيرة.

مجرد أنك لا تلعب Squad 22: ZOV لا يعني أنك لا ترى آثار القوة الناعمة في الألعاب. فقد استثمرت شركة Tencent، التكتل التكنولوجي الصيني الذي يمتلك الحزب الشيوعي الصيني حصة فيه، في الشركات التي تقف وراء ألعاب لاقت استحسان النقاد مثل Baldur's Gate 3 وAssassin's Creed وDark Souls. وفي الوقت نفسه، استحوذت المملكة العربية السعودية على حصص كبيرة في Nintendo وCapcom وEmbracer Group.

ويبدو حجم استثمارات الحكومات الغربية ضئيلاً بالمقارنة. في أبريل، أعلنت المملكة المتحدة عن صندوقها الخاص للمساعدة في "إنتاج لعبة شبيهة بـ Grand Theft Auto"، والتي يُشاع أن الجزء السادس منها قد كلّف أكثر من مليار دولار. بلغت ميزانية الصندوق البريطاني الإجمالية 28.5 مليون جنيه إسترليني. في المقابل، بلغت ميزانية صندوق تطوير الألعاب السعودي، الذي انطلق عام 2021، 38 مليار دولار. ويرى أوزبورن أنه في غياب "آلية ديمقراطية فعّالة"، يُجبر المطورون على تقديم تنازلات لضمان الوصول إلى السوق أو الحصول على استثمارات تؤثر حتمًا على جمهورهم.

ويضيف أوزبورن "سواءً أكان اللاعبون يتعرضون للتلقين أم لا، فهم بالتأكيد مُستهدفون، ويتعرضون لرسائل أخرى، ومدى امتلاكهم للمعرفة والوسائل اللازمة لمواجهتها أمرٌ مشكوك فيه. تؤثر الألعاب على طريقة تفكير الناس، وعلى كيفية عمل المجتمعات، ويرغب الناس في السيطرة عليها".

قناة للتأثير

كيف يعيد «الفودكاست» صياغة مستقبل الإعلام

لندن - يشهد قطاع الإعلام الرقمي تحولاً هيكلياً عميقاً، حيث تجاوز الميكروفون التقليدي حدود الصوت ليندمج مع الصورة في ما بات يُعرف بـ"الفودكاست" أو البودكاست المصوّر. هذا التحول لم يعد مجرد اتجاه فني عابر، بل إستراتيجية وجودية تتبناها كبرى المنصات للبقاء في سوق إعلامي شديد التنافس.

وتتوقع بيانات مؤسسة "ديلويت" أن تصل عائدات الإعلانات العالمية للبودكاست والفودكاست مجتمعين إلى 5 مليارات دولار سنوياً، بمعدل نمو سنوي يقارب 20 في المئة.

ولم يعد هذا النمو مقتصراً على المنصات المرئية؛ إذ أظهرت تقارير الرصد المالي ارتفاعاً حاداً في استهلاك البودكاست، يُعزى أساساً إلى "أنسنة" المحتوى الصوتي وتحويله إلى تجربة بصرية كاملة.

وتكشف الدراسات السلوكية أن إدراج عنصر الفيديو غيّر جذرياً طبيعة تفاعل الجمهور. ففي حين يعاني المحتوى الصوتي التقليدي من التشتت الرقمي، يمنح 44 في المئة من مشاهدي الفودكاست المحتوى تركيزاً كاملاً دون القيام بأي مهام أخرى.

ويتيح هذا التفاعل البصري للمشاهد رصد تعبيرات وجه المضيف، ولغة جسده، والتفاعل الحي بين الضيوف، مما يخلق "علاقة شبه اجتماعية" قوية تزيد من الولاء وتعزز مصداقية المحتوى.

وتخوض الشركات التقنية الكبرى اليوم معركة حامية للسيطرة على عادات المشاهدة الجديدة عبر التلفزيون المتصل بالإنترنت.

ويتجاوز مستخدمو يوتيوب 700 مليون ساعة مشاهدة شهرياً للفودكاست على الشاشات المنزلية.

واستجابة لذلك سمحت سبوتيفاي بإتاحة الفيديو لأكثر من 60 في المئة من برامجها الأكثر شعبية، بينما طورت أبل منصتها لدعم الحلقات المرئية بالكامل، لتصبح الصورة ميزة أساسية وليست خياراً إضافياً.

ويكمن سر نجاح الفودكاست في قدرته على محو الحدود التقليدية بين الراديو والتلفزيون. فإظهار وجوه الصحفيين وصناع المحتوى أمام الكاميرا أصبح أداة حاسمة لبناء الثقة وتعميق الارتباط العاطفي مع الجمهور، خاصة الأجيال الشابة التي تطلب تجربة بصرية كاملة.

> **وسائل الإعلام التي ستمتنع عن إظهار وجوه صحفييها أمام الكاميرا تواجه اليوم خطر الغياب عن المشهد**

ومن الناحية الاقتصادية يفرض هذا التحول على غرف الأخبار إعادة النظر في نماذج الإنتاج. فالحلقة المرئية الواحدة التي تستغرق ساعةً واحدة تحولت إلى "منجم ذهب" متعدد الأبعاد؛ إذ يمكن تقطيعها إلى عشرات المقاطع القصيرة لمنصات التواصل الاجتماعي، مما يضاعف الوصول ويحقق إعادة تدوير ذكية للمحتوى لا يستطيع المحتوى الصوتي التقليدي مجاراته.

وفي ظل هذا المشهد المتسارع تواجه أي مؤسسة إعلامية ترفض الدخول في عصر الفودكاست خطر التهميش التدريجي، وربما الغياب الكامل عن ساحة المنافسة الرقمية.

وفي أسوأ السيناريوهات قد تختفي المؤسسة تقريبا من خريطة المنافسة. الجمهور الجديد لا يبحث عن "أخبار" فقط، بل عن تجربة إعلامية تشبه العلاقة الاجتماعية. إذا لم يجد وجوه الصحفيين والمحتوى المرئي، فسينتقل إلى منافسين يقدمون ذلك (سواء كانوا يوتيوبرز أو منصات كبيرة أو وسائل إعلام حديثة).

ومع مرور الوقت يصبح اسم المؤسسة "غير مرئي" في نتائج البحث وعلى الشاشات التي يستخدمها الجمهور يوميًا.

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

عن فرصتين ضائعتين لبنانيا وفلسطينيا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في المشهدين الحديثين اللبناني والفلسطيني وما يدور في داخلهما ويتفرع عنهما، يوجد تاريخان منسيان. تبدو الحاجة ملحة إلى التذكير بالتاريخين بين وقت وآخر وذلك كي يجري ضبط للأمور بعيدا عن المزايدات وقلب الحقائق والهرب من الحقيقة والواقع وتفادي الاعتراف بمأساتين فريدتين من نوعهما. إنّهما فريدتان لسبب في غاية البساطة. يعود السبب إلى أنّه كان ممكنا تحويل المأساتين إلى فرصة بدل أن تكونا قدرا فرضه المؤمنون بثقافة الموت على شعبين يستحقان العيش في ظروف كريمة.

يتعلّق التاريخ الأوّل بالانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في 25 أيار – مايو 2000. كان انسحابا كاملا تنفيذا لقرار مجلس الأمن الرقم 425 الصادر في 1978. أكّد ذلك المجلس نفسه الذي رفض سلفا الرواية الرسميّة اللبنانيّة عن مزارع شبعا التي راح ينادي بها "حزب الله" ورأس حربته "الرئيس المقاوم" إميل لحود. لم تكن تلك الرواية سوى كذبة كبيرة استهدفت تبرير بقاء سلاح "المقاومة". لم يكن هذا السلاح في يوم من الأيام سوى سلاح موجه إلى الداخل اللبناني. لم يكن لديه من هدف غير بقاء جنوب لبنان صندوق بريد بين إسرائيل من جهة و"الجمهوريّة الإسلاميّة" من جهة أخرى. حدث ذلك من دون سؤال، ولو عابر، عن مصير أهل الأرض. كان هؤلاء وما زالوا الغائب الأكبر في معادلة داخلية وإقليميّة. لا تفسير منطقيا، إلى اللحظة، لماذا حلّ ما حل بجنوب لبنان وأهله؟

أكدت الأحداث التي تلت الانسحاب الإسرائيلي أهمّية بقاء السلاح وليس التخلّص من الاحتلال. كان الدليل الإصرار على بقاء جبهة جنوب لبنان مفتوحة. خطفت مجموعة من "حزب الله"، بتعليمات مباشرة من بشّار الأسد، الذي أرادت إيران جعله يصدّق نفسه، بضعة جنود إسرائيليين. كان ذلك بعد أشهر قليلة من الانسحاب الإسرائيلي.

كان لبنان بين خيار إبقاء الجنوب ينزف وبين العمل من أجل إعادة بناء نفسه. كان الانسحاب الإسرائيلي فرصة لإيران كي تثبت مدى رسوخ نفوذها في لبنان. توسّع هذا النفوذ وترسّخ بعد العام 2005 عندما اغتالت عناصر من "الحزب" رفيق الحريري. استتبع ذلك انسحابا عسكريا سوريا وخلوا لـ"الساحة" اللبنانية أمام "الحرس الثوري".

ما الذي بناه لبنان على الانسحاب الإسرائيلي؟ بنى عمليا الكارثة التي يعاني منها والتي جعلت مصير البلد كلّه في مهب الريح. الكلّ يتحدث عن الكارثة، لكن عددا قليلا من الناس يشير إلى الفشل اللبناني، الذي دفعت إيران في اتجاهه. دفعت إيران في منع الاستثمار المثمر في الانسحاب الإسرائيلي. كان في الإمكان تحويل الانسحاب إلى فرصة من أجل مستقبل أفضل للبلد ولأبنائه ولجنوبه خصوصا... بدل أن يكون جسرا لعودة الاحتلال، وهو احتلال ليس معروفا هل يزول يوما. الأهمّ من ذلك كلّه أنّ حجم الخراب والدمار وما لحق بالقرى الجنوبيّة وعدد النازحين من أبناء الطائفة الشيعية بات يفوق كلّ تصور.

أمّا التاريخ الآخر الذي يحتاج إلى تذكير دائم به، فهو تاريخ الانسحاب الإسرائيلي الكامل من غزّة في آب – أغسطس 2005. الأكيد أن حسابات اريبل شارون الذي كان همّه كيفية التخلص من القطاع من جهة وفرض السيطرة على الضفة الغربية، كانت وراء الخروج الإسرائيلي الكامل من غزّة. لكنّ الأكيد أن الجانب الفلسطيني ممثلا بالسلطة والوطنيّة و"حماس"، عمل كلّ ما يستطيع من أجل تحويل الانسحاب الإسرائيلي إلى كارثة فلسطينية أخرى. يمكن في طبيعة الحال لوم السلطة الوطنية ممثلة بمحمود عباس (أبومازن) الذي لا يمتلك أي صفات قيادية من أي نوع. اختار "أبومازن" البقاء خارج غزّة عندما انسحب الإسرائيلي منها بدل أن يكون على الأرض وبين أهل القطاع.

مع مرور الوقت، انتصر سلاح "حماس" على غزّة وأهلها. بدل أن يشكل الانسحاب، الذي حصل صيف 2005، فرصة لبناء نموذج مصغّر لدولة فلسطينية حضارية قابلة للحياة، كان الانسحاب فرصة لإسرائيل كي تقول إنّ "لا شريك فلسطينيا يمكن التفاوض معه".

لم يأت ما تعاني منه غزة اليوم من فراغ. إنّه نتيجة فعل مدروس مارسته "حماس" طوال ما يزيد على عقدين. ركزت الحركة على الاحتفاظ بسلاحها من أجل بناء "إمارة إسلاميّة" على الطريقة الطالبانية (نسبة إلى طالبان) وضرب المشروع الوطني الفلسطيني من أساسه. لم تكن إسرائيل تعترض على هذا التوجه. كذلك، لم تكن معارضة للصواريخ التي راحت "حماس" تطلقها من غزّة أو معترضة عليها. كان كلّ همّها محصورا في تأكيد أنّ الفلسطينيين لا يستأهلون دولة ولا جدوى من التفاوض معهم من جهة وفي تعميق الانقسام الداخلي الفلسطيني من جهة أخرى.

في جنوب لبنان وبعد ذلك في غزّة، أدّى السلاح وظيفته في خدمة إسرائيل... إلى أن جاء "طوفان الأقصى". يوم السابع من تشرين الأوّل – أكتوبر 2023، انقلب السحر على الساحر. اكتشفت إسرائيل أنّ ليس في استطاعتها التعايش، بعد الآن، لا مع سلاح "حزب الله" ولا مع سلاح "حماس". السلاحان جزء من الماضي، بل ينتميان إلى عالم مختلف كان مستعدا لإيجاد كلّ أنواع التفاهمات مع إيران بنظامها القائم الذي مارس لعبة الابتزاز، بنجاح منقطع النظير، منذ لحظة قيامه في العام 1979.

كان الانسحابان الإسرائيليان من جنوب لبنان ومن غزّة فرصتين ضائعتين على اللبنانيين والفلسطينيين. أسّس الانسحاب من الجنوب للكارثة اللبنانية التي كان يمكن تفاديها وأسس الانسحاب من غزّة لنكبة فلسطينية جديدة في وقت يبدو مطروحا أكثر من أي وقت، في ضوء الحدث الإيراني، مستقبل المنطقة كلّها وكيفية إعادة تشكيلها.

توجد فرص تمرّ أمام الشعوب. ثمة من يحسن استغلال الفرص وثمة من لا يحسن ذلك. العيب في تفادي الاعتراف بأن الفرص كانت قائمة والتصرف كما لو أنّها لم توجد يوما... علما أنّها كانت حقيقة قائمة أكثر من اللزوم.

الغائب الأكبر في معادلة داخلية وإقليميّة

من التهدئة إلى الحرب النفسية... إيران تستهدف الخليج

من يملك الرواية الأكثر تأثيرا

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لا يبدو أن المعركة بين إيران والولايات المتحدة قد انتهت فعليا عند حدود التهدئة أو الاتفاق الذي يمكن أن يوقع في أي وقت، بل انتقلت إلى مستوى آخر أكثر تعقيدا يتعلق بصناعة الرواية السياسية وإعادة تشكيل صورة القوة والنفوذ في المنطقة.

ففي الوقت الذي تلتزم فيه واشنطن قدرا كبيرا من الغموض بشأن طبيعة التفاهمات التي جرى التوصل إليها، تتحرك طهران بسرعة لملء هذا الفراغ عبر سردية تقدم نفسها باعتبارها الطرف الذي صمد وفرض معادلات جديدة وأجبر الأميركيين على التراجع عن أهدافهم القصوى، وفي نفس الوقت نقل الضغوط إلى دول الخليج.

لا يهم الإيرانيين حجم الخسائر التي تعرضت لها بلادهم سواء بشكل مباشر، والتي طالت قيادات الصف الأول سياسيا وعسكريا وعلى رأسها المرشد علي خامنئي، وكذلك استهداف البرنامج الصاروخي والنووي، أو بشكل غير مباشر، من خلال تفكيك أدوات النفوذ الإيراني الأكثر أهمية في الحرب بالوكالة بضرب حماس وحزب الله.

المعركة في الشرق الأوسط لم تعد تدور حول الصواريخ والطائرات المسيّرة فقط بل حول من يملك القدرة على صياغة الرواية الأكثر تأثيرا في وعي شعوب المنطقة

تعمل طهران على تسويق بنود تبدو، في ظاهرها على الأقل، أقرب إلى تحقيق مكاسب لها، من بينها الحديث عن إعادة الإعمار وتخفيف القيود الاقتصادية، بما يسمح بإعادة بناء صورة الدولة القادرة على الصمود وانتزاع التنازلات، رغم الكلفة الباهظة التي دفعتها في المواجهة الأخيرة.

وتستفيد في ذلك من الارتباك الواضح في الخطاب الأميركي، إذ تبدو تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب متناقضة وغير مستقرة، فتارة يتحدث بلغة القوة والتهديد، وطورا يلمّح إلى التهدئة وإمكانية التفاهم، من دون أن تقدم الإدارة الأميركية رواية متماسكة حول طبيعة الاتفاق أو حدوده أو ما إذا كانت واشنطن حققت فعلا أهدافها الإستراتيجية من المواجهة الأخيرة. ضعف الموقف الأميركي ناجم بالأساس عن غياب الرواية الرسمية وخطاب متناسق للبيت الأبيض وترك الأمر بيد الرئيس ترامب ليطبعه بالتوتر والتناقض.

هذا الفراغ السردي لا يبدو تفصيلا ثانويا بالنسبة إلى إيران، بل يمثل فرصة إستراتيجية لإعادة ترميم صورتها الإقليمية بعد الضربات القاسية التي تعرضت لها خلال السنوات الأخيرة، سواء على مستوى قدراتها العسكرية أو على مستوى نفوذ الفصائل الحليفة لها في المنطقة. ومن هنا يمكن فهم الإصرار الإيراني على تسويق فكرة أن ما جرى ليس تراجعا إيرانيا تحت الضغط، بل اعتراف أميركي بقوة إيران الإقليمية وبعجز واشنطن عن فرض شروطها بالقوة.

لكن الأهمية الحقيقية لهذه السردية لا تتعلق فقط بالعلاقة مع الولايات المتحدة أو إسرائيل، بل بالرسائل الموجهة إلى دول الخليج العربي. فإيران لا تحاول فرض أمر واقع على واشنطن بقدر ما تخوض حربا نفسية وسياسية ضد البيئة الخليجية، مستفيدة من حالة الالتباس القائمة في المنطقة ومما ظهر من تعاطف شعبي عربي في أول الحرب كموقف مسبق من إسرائيل وأميركا.

وتسعى طهران إلى استثمار هذا التعاطف لتحويله تدريجيا إلى حالة استعداء تجاه الخليج، عبر تثبيت صورة نمطية تقوم على أن دول الخليج تقف عمليا في المعسكر الأميركي – الإسرائيلي، حتى وإن كانت المواقف الخليجية الرسمية خلال الأزمة قد اتسمت بقدر كبير من الحذر ورفض الحرب واعتبارها مغامرة مكلفة.

وفي هذا السياق تبدو التسريبات المتكررة بشأن وجود تفاهمات اقتصادية أو مالية بين إيران وبعض الدول الخليجية جزءا من هذه الحرب النفسية. فالترويج لوجود تسهيلات إماراتية لعبور أموال إيرانية مجمدة أو الحديث عن تعاون قطري – إيراني في مجال الطاقة يتجاوز مجرد نقل معلومات اقتصادية، ليصبح أداة سياسية هدفها الإيحاء بأن دول الخليج، رغم سقف خطابها السياسي، تجد نفسها مضطرة في النهاية إلى التعامل مع إيران باعتبارها القوة التي لا يمكن تجاوزها.

وتحاول طهران من خلال هذه الرسائل ضرب التماسك الخليجي وإثارة الشكوك المتبادلة بين دول المنطقة، خصوصا تجاه الدول التي اتخذت مواقف أكثر صرامة خلال الحرب الأخيرة، مثل الإمارات. فإيران تدرك أن أحد أخطر التحولات التي شهدتها المنطقة خلال السنوات الأخيرة يتمثل في سعي دول الخليج إلى بناء سياسة خارجية مستقلة نسبيا عن الهيمنة الأميركية التقليدية، عبر تنويع الشراكات الدولية والانفتاح على الصين وروسيا وأوروبا، بالتوازي مع الحفاظ على العلاقة الإستراتيجية مع واشنطن. استقلال القرار الخليجي يكسر السردية الإيرانية ويضرب في مقتل المظلومية التي يبرر بها الإيرانيون عداءهم لدول الجوار ويسحب البساط من تحت أقدام نظرية "تصدير الثورة"، التي يتمركز هدفها حول استهداف الخليج وأمنه.

وقد ظهر هذا التحول بوضوح في مواقف خليجية عارضت الحرب الأميركية على إيران، كما عارضت قبل ذلك الحرب الإسرائيلية على غزة، ورفضت كذلك ضغوط إدارة الرئيس الأميركي السابق جو بايدن المتعلقة بربط الحماية الأميركية بترتيبات أمنية وسياسية جديدة في المنطقة.

لكن السردية الإيرانية تحاول تقويض هذا المسار الخليجي عبر إعادة إنتاج صورة قديمة تقوم على أن دول الخليج مجرد تابع للولايات المتحدة، وأنها أقرب إلى إسرائيل ومسار التطبيع منها إلى تيار المقاومة. والهدف من ذلك لا يقتصر على تشويه صورة دول الخليج أمام الرأي العام العربي، بل يتجاوز ذلك إلى خلق بيئة سياسية ونفسية تجعل أي تصعيد إيراني مستقبلي ضد هذه الدول يبدو كأنه جزء من "مواجهة مشروعة" مع حلفاء واشنطن وتل أبيب.

وهنا تبرز خطورة التحول الجاري في الخطاب الإيراني. فبعد سنوات من تقديم إسرائيل باعتبارها العدو المركزي، تبدو طهران اليوم كأنها تعيد توجيه بوصلة الصراع تدريجيا نحو الخليج العربي، ليس بالضرورة عبر إعلان مباشر، وإنما عبر بناء سردية تتهم دول الخليج بالتواطؤ أو المشاركة غير المباشرة في استهداف إيران.

ويكتسب هذا التحول دلالة أكبر في ظل التراجع الواضح لقدرات الفصائل الموالية لإيران في الإقليم، والضربات التي تعرض لها ما يسمى بـ"محور المقاومة"، ما يجعل من الصعب على طهران الاستمرار في تقديم نفسها باعتبارها الطرف القادر على خوض مواجهة إستراتيجية مفتوحة مع إسرائيل. ولذلك قد تجد إيران نفسها بحاجة إلى ساحة صراع بديلة أقل كلفة وأكثر قابلية للاختراق السياسي والإعلامي.

ومن هنا يمكن فهم تصاعد الخطاب الإيراني تجاه بعض دول الخليج، وكذلك محاولات خلق مناخ إقليمي يتقبل فكرة ممارسة الضغوط أو حتى الاعتداءات المحدودة ضد هذه الدول، كما حدث في التهديدات أو العمليات المرتبطة بالكويت والبحرين خلال الفترات الأخيرة.

إيران تحاول استثمار الغموض الأميركي لبناء سردية جديدة تقدم نفسها كقوة صامدة وتحوّل الضغط نحو الخليج عبر إشاعات اقتصادية وسياسية تهدف إلى إرباك المواقف الموحدة

تنشغل إيران اليوم بإعادة بناء نفوذها عبر معركة إدراكية ونفسية أكثر منها عسكرية. فهي تدرك أن توازنات القوة التقليدية لم تعد تعمل لصالحها كما في السابق، وأن خسائرها الإقليمية تجعل من الصعب عليها استعادة مشروعها القديم بالوسائل ذاتها. ولذلك تراهن على صناعة رواية سياسية جديدة تقوم على ثلاثة عناصر متداخلة: تصوير نفسها كقوة صمدت وانتزعت اعترافا أميركيا بمكانتها وفرضت شروطها، وتقديم الخليج باعتباره الحلقة الأضعف، ثم تحويل ما تعتقد أنه تعاطف شعبي عربي مع "محور المقاومة" إلى أداة ضغط سياسية ضد الخليجيين.

غير أن نجاح هذه السردية يظل مرتبطا بمدى قدرة دول الخليج على الحفاظ على وحدة مواقفها وتقديم روايتها الخاصة للأحداث، بعيدا عن ردود الفعل الانفعالية أو الانجرار إلى الاستقطاب الذي تسعى طهران إلى فرضه.

لم تعد المعركة في الشرق الأوسط تدور فقط حول الصواريخ والطائرات المسيّرة، بل حول من يملك القدرة على صياغة الرواية الأكثر تأثيرا في وعي شعوب المنطقة وتوازنات قواها السياسية. المعركة الحقيقية معركة إعلامية لا تقف عند امتلاك الوسائط وتوسيع الحضور في المنصات التقليدية والرقمية، ولكن، وهو الأهم، عند بناء خطاب إعلامي وسياسي عقلاني يقنع الجمهور ويعدل الأمزجة والأذواق والمواقف تجاه الخليج. المعركة معركة أفكار وإستراتيجيات وانفتاح مدروس على الجمهور العربي والدولي بالتزامن مع خطوات اقتصادية واستثمارية تجعل الخليج مركز الاهتمام الإقليمي وإيران هي الهامش على عكس ما هو قائم.

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

المغرب: من ورش الإصلاح إلى صناعة النموذج العربي

سعيد التمسماني
محلل سياسي مغربي

لم يعد النقاش حول حقوق الإنسان في المغرب يقتصر على تقييم حصيلة الإصلاحات أو رصد حجم التحولات التشريعية والمؤسساتية التي شهدتها المملكة خلال العقود الأخيرة، بل أصبح يدور اليوم حول سؤال أكثر أهمية: كيف يمكن تحويل هذا التراكم الحقوقي إلى نموذج عربي وأفريقي مرجعي قادر على الإشعاع والتأثير خارج الحدود الوطنية؟

المغرب انتقل من ورش الإصلاح إلى بناء نموذج حقوقي عربي عزز المؤسسات ودستر الحقوق وقدم تجربة العدالة الانتقالية التي حظيت باهتمام دولي واسع

لقد اختار المغرب، تحت قيادة الملك محمد السادس، منذ بداية الألفية الثالثة، مسارًا إصلاحيًا متدرجًا يقوم على التوفيق بين الاستقرار السياسي والانفتاح الديمقراطي، وبين صيانة الثوابت الوطنية وتعزيز منظومة الحقوق والحريات. وقد أفرز هذا الخيار جملة من المكتسبات النوعية التي جعلت التجربة المغربية تحظى بتقدير متزايد داخل المؤسسات الدولية والأممية.

ففي المجال المؤسساتي، رسخ المغرب مكانة المؤسسات الوطنية المعنية بحقوق الإنسان، وعزز استقلالية وآليات اشتغال المجلس الوطني لحقوق الإنسان، كما أحدث مؤسسات متخصصة في الوساطة والحكامة ومحاربة التمييز وحماية الحقوق الأساسية. وفي المجال التشريعي، شهدت المملكة إصلاحات عميقة مست مختلف القوانين المرتبطة بالحريات العامة وحقوق النساء والأطفال والأشخاص في وضعية إعاقة، فضلًا عن تعزيز الضمانات القانونية المرتبطة بالمحاكمة العادلة والحق في الولوج إلى العدالة.

أما دستور 2011 فقد شكل نقطة تحول تاريخية في البناء الحقوقي المغربي، من خلال دسترة منظومة واسعة من الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، والتنصيص على سمو الاتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب في نطاق أحكام الدستور وقوانين المملكة وهويتها الوطنية الراسخة.

وتبقى تجربة العدالة الانتقالية من أبرز المحطات التي ميزت النموذج المغربي على المستوى العربي، حيث استطاعت المملكة عبر هيئة الإنصاف والمصالحة أن تقدم تجربة رائدة في معالجة ماضي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان وفق مقاربة قائمة على الحقيقة والإنصاف وجبر الضرر والمصالحة الوطنية، وهي تجربة ما زالت تحظى باهتمام العديد من الدول والمنظمات الدولية.

كما حقق المغرب تقدمًا ملحوظًا في تعزيز حقوق المرأة من خلال إصلاح مدونة الأسرة، وتوسيع مشاركة النساء في الحياة العامة، وترسيخ مبدأ المناصفة باعتباره هدفًا إستراتيجيًا للدولة. وفي الوقت نفسه، واصل جهوده لحماية حقوق الطفل، ومحاربة الاتجار بالبشر، وتطوير السياسات العمومية المرتبطة بالفئات الهشة، وتعزيز الحق في الصحة والتعليم والحماية الاجتماعية.

ولم يعد الحضور المغربي في المجال الحقوقي مقتصرًا على المستوى الوطني، بل أصبح فاعلًا مؤثرًا داخل المنظومة الدولية، سواء من خلال مساهماته في أجهزة الأمم المتحدة، أو عبر احتضان الحوارات الدولية حول الهجرة وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة، أو من خلال انخراطه في المبادرات الإقليمية الرامية إلى تعزيز التعاون الحقوقي جنوب – جنوب.

غير أن قوة التجارب لا تُقاس فقط بحجم ما تحقق، وإنما أيضًا بقدرتها على تجديد نفسها واستشراف المستقبل. فالمغرب يقف اليوم أمام مرحلة جديدة تتطلب الانتقال من منطق بناء المؤسسات إلى منطق ترسيخ الثقافة الحقوقية داخل المجتمع، ومن مرحلة إنتاج النصوص إلى مرحلة تعميم الأثر الحقوقي في الحياة اليومية للمواطن.

ومن هنا تبرز أهمية الدور الإستراتيجي للمندوبية الوزارية المكلفة بحقوق الإنسان باعتبارها الحلقة التي تربط بين السياسات العمومية والالتزامات الدولية للمملكة وبين المجتمع ومختلف الفاعلين المؤسساتيين والمدنيين.

قوة ناعمة قادرة على التأثير والإلهام

وتقوم خارطة الطريق الحقوقية للمرحلة المقبلة على خمسة محاور أساسية:

أولًا، إدماج ثقافة حقوق الإنسان بشكل أعمق داخل المنظومة التعليمية والتكوينية، بما يجعل الحقوق والحريات جزءًا من التربية المدنية للأجيال الصاعدة.

ثانيًا، تسريع عملية الرقمنة الحقوقية عبر تطوير منصات تفاعلية تتيح الولوج إلى المعلومة القانونية والحقوقية وتبسيط الخدمات المرتبطة بها.

ثالثًا، تعزيز آليات تقييم الأثر الحقوقي للسياسات العمومية وربط البرامج الحكومية بمؤشرات دقيقة لقياس مدى احترام الحقوق الأساسية.

رابعًا، توسيع الشراكات الدولية والإقليمية بما يرسخ مكانة المغرب كمنصة للحوار والتعاون الحقوقي بين أفريقيا والعالم العربي وأوروبا.

خامسًا، الاستثمار في الدبلوماسية الحقوقية وجعل التجربة المغربية نموذجًا للترافع الدولي حول الإصلاح التدريجي المتوازن القائم على التوافق والاستقرار والتنمية.

إن الرهان الحقيقي اليوم لم يعد يتمثل في إثبات وجود إصلاحات حقوقية بالمغرب، فهذه الحقيقة أصبحت معترفًا بها على نطاق واسع، بل في تحويل هذا الرصيد إلى قوة ناعمة وطنية وإلى مرجعية إقليمية قادرة على التأثير والإلهام. فالمملكة تمتلك اليوم كل المقومات التي تؤهلها للانتقال من موقع الدولة المنخرطة في الإصلاح الحقوقي إلى موقع الدولة التي تصنع النموذج الحقوقي العربي الأكثر توازنًا واستدامة في القرن الحادي والعشرين.

سياسة الإنسانية المسروقة

د. خالد زغريت
كاتب سوري

يمكننا أن نحكم على الكثير من التيارات الفكرية الحديثة بالرقي والنبل لصدق اتجاهها الإنساني، إلا أن ذلك يتعذر في الفكر السياسي الذي تكون غايته السلطة، فهو صندوق الكنز في خزينة السلطة السوداء، وما من سياسة نقية من شهوة السلطة، وفي شهوة السلطة ينتعش إعلام التضليل، وتزدهي شعارات التزييف، وعليهما تعتاش السلطة، وبهما تُفقأ عيون الحقيقة، لتعمي رؤيتها للإنسانية المسروقة في السياسة، وعن سياسة سارقها المخاتلة.

يندر أن يقدم التاريخ نموذج حضارة عظيمة لم تكن مستقوية بذاتها ولذاتها، مستغرقة في رغبة التغلب وإقصاء الآخر، لأنها ترى وجودها منبثقًا من قوتها، والقوة لازمة وجودية حضارية، فتعمل على استضعاف الآخر واستعباد الضعيف، ذلك نهج الحضارات القوية.

غالبًا ما يرد السياسيون نهج توحش القوة إلى نيتشه الذي شرعن حضارة القوة بوصفها حقًا وجوديًا يستجيب لقوانين الطبيعة، فرأى "أن القيم التقليدية (مثل التسامح، والشفقة، والمساواة) التي تدعو إليها الأديان والفلسفات التقليدية هي "أخلاق قطيع" ابتكرها الضعفاء للحد من طموح الأقوياء. ومن هذا المنظور، فإن الرضوخ للقيم السائدة يعني التنازل عن التفرد. غير أن حقيقة الحضارات الإمبراطورية تعمل بهذه المقولة لكن بأقنعة وتزييف، فالصراع بين سياسة إرادة المستضعف في الحياة وسياسة المستقوي بالهيمنة صراع أزلي في تاريخ البشرية.

يراهن المستقوي على أحقيته في الحياة بما يمتلكه من وسائل هيمنة حضارية عسكرية وتقنية، ويرى القوة المادية هي الأساس في الانتصار وفرض نفوذ الهيمنة لأنها تكريس، أما المستضعف فهو بدافع غريزة البقاء يراهن على قوة الإرادة الروحية. هذا الصراع تتبناه فكريًا فئة تؤمن بحتمية الواقع المادي ومجد الخيال الصناعي، وفئة مناقضة تؤمن بعالم المثل والخيال الأخلاقي والروحي.

لذلك لا نستغرب أن يُنظّر فكريًا لقوة المستضعفين في عالم يتغوّل بالقوة سياسي برتبة رئيس دولة سابق وهو فاتسلاف هافل، وسبب عدم الاستغراب أن هافل في أصل تكوينه الثقافي أديب مسرحي لامع ترجمت أعماله إلى لغات عالمية عدة، وهذا يعني أنه مبدع مرموق. وقد اختير ليحتل رابعًا وفق ترتيب مجلة "Prospect magazine" لأفضل مئة مفكر على مستوى العالم. من غير شك فكر هافل مرتبط عضوياً بعالم المثل الروحي والأخلاقية العليا، وينطلق في تفكيره من هذا العالم، وعلى ما في أفكاره من قيمة ثقافية وسياسية، فإنها تشوبها مسحة فكرية ماركسية رومانسية، وتلك المسحة جعلته يكتب عن السياسة لا بوصفها صراعًا على السلطة، "بل بوصفها معركة عميقة حول معنى الإنسان ذاته داخل الأنظمة الشمولية". ولذلك هو يرى "أن قوة المستضعفين ليست قوة السلاح أو المال أو المؤسسات، بل قوة الحقيقة حين يقرر الإنسان أن يعيش خارج الكذب الجماعي". وتؤكد هذه الرؤية إخلاص هافل في انتمائه الفكري إلى وجدانيات عالم المثل الأخلاقية والروح، وانتصار الأديب فيه على السياسي.

يتخذ هافل في طروحاته عن قوة المستضعفين من استمرار الأنظمة القمعية، على الرغم من عراء زيفها، ناتجًا عن "اعتياد الشعوب المشاركة اليومية في إعادة إنتاج الوهم. فالنظام الشمولي لا يعيش بالقوة فقط، بل يعيش لأن الأفراد يكررون شعاراته ويؤدّون طقوسه خوفًا أو تكيّفًا أو بحثًا عن النجاة".

أبرز تناقض يحكم أفكار هافل هو تجذرها في الأيديولوجيا الاشتراكية النظرية التي لم تخرج في أفعالها عن الطغيان السياسي. ما مقولته الشهيرة: "العيش داخل الحقيقة" إلا أصداء شعارات الشيوعية التي تقوم على المادية الجدلية والتاريخية، لكنه يخرجها أدبيًا بصبغة رومانسية توحي بوجودية روحية لا مادية، شأن جوهر الماركسية التي تمارس عالم الماديات الفكرية والسلطوية، وتطرح شعارات "دكتاتورية البروليتاريا" وتعدها مرحلة انتقالية تسيطر فيها الطبقة العاملة على الدولة لإلغاء النظام الرأسمالي وتحويل وسائل الإنتاج إلى الملكية العامة. وهي شعارات في ظاهرها شعبوية ذات أبعاد وجدانية إنسانية، وفي سلوكها حاكمية دكتاتورية تنقض حيوية الإنسان بنقله من الميكانيكية الرأسمالية إلى الميكانيكية الشيوعية التي تتضمن معنى الجماعية بلا خصائص فردية بشرية، وهذا ما يناقض جوهر معنى البشرية.

قوة المستضعفين عند هافل خروج على الثورة المباشرة، واستبدالها "بمقاومة هادئة عميقة، تحول الحقيقة إلى سلوك عملي لا إلى خطاب نظري". على أن أفكار هافل في هذا السياق تمنيات رومانسية متجذرة بالفكر الماركسي النظري، وهي خطاب نظري بامتياز؛ لأن المستضعفين محكومون بطوابع الضعف الذي يسلبهم إرادة المقاومة، والمقاومة في جانب من جوانبها نتاج قوة إرادة تصنع قوة فعلها، لا ضعف يكون بذاته قوة.

هافل: انتصار الأديب على السياسي

«الدهاء» في إيران، «خيانة» في لبنان!

عبدالكريم سليمان العرجان
كاتب أردني

في خضم العواصف السياسية التي تضرب لبنان، لم يعد السؤال عن جدوى التفاوض وما إذا كان هو التحدي الأكبر، بل السؤال عن "شرعية المفاوض" وهويته. لقد تحوّل الجدل الدائر مؤخرًا في الفضاء العام حول مركز القرار إلى مرآة تكشف الفجوة السحيقة بين "دولة" تملك الاسم ولا تملك القرار، و"قوى" تملك القرار ولا تقيم وزنًا للدولة. وبينما يترقب العالم اليوم تبلور اتفاق إيراني – أميركي (بوساطة باكستانية) يُعيد رسم خرائط النفوذ الإقليمي، يجد اللبنانيون أنفسهم أمام واقع أكثر إيلامًا؛ حيث تُشترى السكينة الوطنية بتهديدات التخوين، ويصبح البحث عن مصلحة لبنان مغامرة محفوفة بالمخاطر في ساحة فقدت بوصلة السيادة المركزية.

عندما تجلس إيران إلى طاولة المفاوضات، هي لا تجلس كدولة مهزومة، بل كطرف يملك "أوراقًا تكتيكية" صلبة تقع ضمن "مركزية قرار" واحدة. النظام الإيراني يحتكر السلاح والاقتصاد والقرار الإستراتيجي. هنا، تتحول البراغماتية السياسية إلى "دهاء"، لأن المفاوض يملك القدرة على تنفيذ التزاماته وتوظيف مكاسب التفاوض لخدمة مشروعه القومي. لا يوجد في الداخل الإيراني طرف موازٍ للدولة، لذا فالمفاوض هو "المالك الفعلي" للقرار.

في المقابل، يعاني لبنان من "سيولة في السلطة" وتعدد مصادر القرار. الدولة بهيكلها الدستوري لا تملك "أوراق قوة" حصرية، بل هي بيد قوى تعتمد أجندات عابرة للحدود. هذا الهيكل حوّل الدولة إلى "صندوق فارغ" في نظر المفاوض الدولي؛ لا تملك فرض اتفاق ولا حصانة تمريره. ومن هنا يولد "ألتخوين" كآداة قمعية: فإذا تفاوضت الدولة اتهمها المحور الموازي بالاستسلام، وإذا تفاوض الطرف الآخر اتهمه قطاع واسع من الشعب بالانتقاص من السيادة.

قد يتساءل المراقب: لماذا لا يجرؤ أنصار المحور في لبنان على توجيه تهمة "الخيانة" لإيران رغم تفاهماتها مع واشنطن؟ الإجابة تكمن في طبيعة "الولاء العقائدي". في عرف هؤلاء، إيران ليست مجرد دولة تخضع لحسابات الربح والخسارة، بل هي "المركز المقدس" للمشروع.

لذا، فإن أي تنازل إيراني لا يُقرأ كخيانة، بل يُبرر كـ"تقية سياسية" أو "انحناء للعاصفة" لحماية المركز. إنهم يمارسون تجاه إيران "حسن الظن الإستراتيجي"، بينما يمارسون تجاه الدولة اللبنانية "سوء الظن الوجودي". هم يعتبرون أنفسهم "جنودًا في قضية" لا "مواطنين في دولة"، وهذا الفارق هو الذي يحمي طهران من سهام التخوين التي تنهال على أي مفاوض لبناني يحاول انتزاع فتات سيادة من بين أنياب الأزمات.

إن أزمة لبنان ليست في "التفاوض" كفعل، بل في غياب المرجعية الموحدة. والمفارقة الأكثر إيلامًا اليوم، ونحن نراقب مسار التفاهمات الإيرانية – الأميركية، أن "الخيانة" تظهر كتهمة انتقائية تُستخدم كأداة سيطرة لا كمعيار وطني.

فبينما تُغفر لطهران "براغماتيتها" وتُسمى دهاءً، تُرفض للدولة اللبنانية "واقعيتها" وتُسمى خيانة. آن الأوان للجرأة على طرح السؤال الوجودي: هل نختار أن نكون دولة تحمي مصالح شعبها بالتفاوض، أم نرضى بأن نظل "ساحة" يحكمها ولاءٌ أعمى لمركز يرى في مصالحه القومية أولوية، بينما يرى في مصالحنا مجرد أوراق تفاوض قابلة للاحتراق في لحظة تفاهم كبرى؟

ما جدوى التفاوض

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

خشبة المسرح وطن لرفيق علي أحمد ولبنان

«على خشبة الحياة» يوثق الذاكرة محولا السيرة الذاتية إلى مقاومة جمالية

لا يقدم الفنان رفيق علي أحمد في كتابه "على خشبة الحياة" مجرد سيرة ذاتية أو تأملات مسرحية أكاديمية، بل يفتح نوافذ حميمة على دروب لبنان النابضة بالذاكرة. إنه نص دافئ يمزج بعفوية نادرة بين رائحة التراب الجنوبي وصخب بيروت، ليتحول القارئ من متلق صامت إلى شريك حقيقي في ولادة الحكاية.

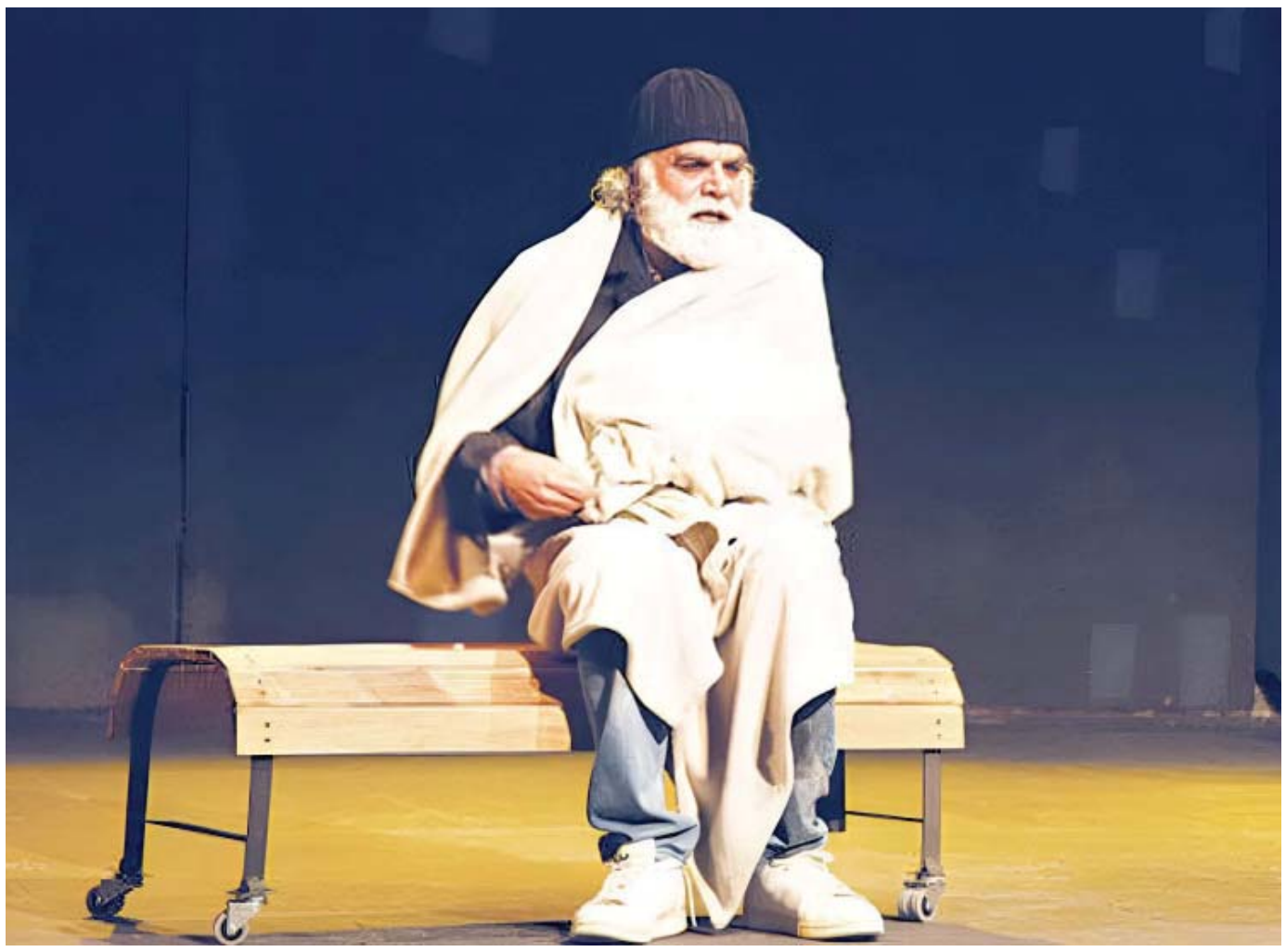

حياة رفيق علي أحمد مسرح مفتوح

بشرى بن فاطمة
كاتبة وباحثة تونسية اختصاص فنون بصرية

ليست بعض الكتب أوراقًا تُقرأ فحسب، بل نوافذ تُفتح فجأة على أمكنة كانت نائمة في الذاكرة، ومنذ الصفحات الأولى من كتاب "على خشبة الحياة" لرفيق علي أحمد الصادر عن منشورات دار أنطوان هاشيت في 356 صفحة مقسمة على ست عشرة حكاية، شعرت أنني لا أقرأ سيرة أو تأملات مسرحية بقدر ما عبرت دروبا لبنانية ساكنة في ذاكرتي الطفلة وذاكرتي الزائرة للبنان الذي سافرته بالخيال والفن والأخبار والكتب مرات، ولبنان الذي عرفني بين دروبه متجوّلة صامتة شغوفة.

سيرة رفيق علي أحمد تفوح منها رائحة التراب المبلل بالمطر، وصخب الحارات الدافئة، وأصوات الناس البسطاء الذين ما زالوا يصنعون الحياة من تفاصيلها الصغيرة كما دخان القصف وأصوات المهجّرين وصراخهم.

> **رفيق علي أحمد يكتب كما يتنفس بعفوية لا تتكلف البلاغة لكنها تخلقها وبصدق يجعل القارئ شريكا في التجربة**

يكتب رفيق علي أحمد أو يروي كما يتنفس، بعفوية نادرة لا تتكلف البلاغة لكنها تخلقها، وبصدق إنساني يجعل القارئ شريكا في التجربة لا مجرد متلق لها، لذلك بدا الكتاب منذ بدايته نصًا حميما مألوفا، يقترب من الروح بخفة، ويوقظ الذاكرة الجماعية والفردية معا، إنه استحضار لزمن لبناني جميل، لا بوصفه فردوسا مفقودا، بل بوصفه خزّان مشاعر وصور وعلاقات إنسانية لا تزال قادرة على مقاومة النسيان ومعاناة لا تفارق الواقع اليومي.

ومن هذه الحميمية تحديدا تنبع قيمة الكتاب، فهو لا يقدم المسرح باعتباره خشبة منفصلة عن الواقع، بل يكشف كيف تتحول الحياة نفسها إلى مسرح كبير لا يقدّم تجربته برؤية نقدية أكاديمية وتجربة وتيار ولكن يعطي مساحة السرد لذاته لتمشي بنا نحو تساؤلاتنا الساذجة فكيف يصبح الإنسان ممثلا وساردا وشاهدا على حكايته ليكون الحكاية والحكواتي وهو ما يبعث الفضول للقراءة لا لمجرد الاطلاع ولكن للسفر لرؤية لبنان لاستكمال الجزء الآخر المفقود في الذاكرة، ذلك الذي يزاوج بين دفء السيرة وعمق التأمل وجمالية الحكي، ليقدم تجربة أدبية وإنسانية تتجاوز حدود الكتابة المسرحية التقليدية.

«اشتقت لأختي الزيتونة»

للحياة في القرية روح وصوت ورؤية وروائح استطاع رفيق علي أحمد أن يضعنا فيها، حيث الموسيقى ليست ترفا بل امتداد لصوت الأرض، وحيث العتابا والزجل ليسا فنا منفصلا بل نبض يومي يرافق الناس كما يرافقهم الهواء وأنت تقرأ تلك التفاصيل تصغي لصوت النوري والبزق تلك السذاجة الطفولية الكثيفة بفضول الطفل رفيق وهو يتبعه من بيت إلى بيت حتى أنك ترى البيوت وتفاصيلها.

لم أقرأ الكتاب كصفحات تُتلى، بل تخيلته صوتًا حيًا، كأن رفيقً علي أحمد يجلس قبالتي على خشبة غير مرئية، يروي، يحكي، يسرد، ويمنّح الكلمات جسدا مسرحيا يخلّصك من صفة القارئ ويمنحك دورا معه على "خشبة الحياة"، لغته تتحول في مخيلتي إلى أداء كامل، إلى حضور لا يُقرأ بل يُسمع، وكأن الخبرة المسرحية التي يحملها تنبع من كل جملة لتجعلها مشهدا قائما بذاته.

ومع كل صفحة حكاية أعود إلى لبنان الذي أحبه، إلى جباله التي تشبه ذاكرة واقفة على الجمال لم تتغيّر ولم تشوّهها الحروب، أرضه هي أرض لبنان تحفظ في شقوقها حكايات الناس البسطاء.

الحنين المتسرّب في الصفحات لا يأتي كوجع بل كفرح دافئ يتلون بكل ما في هذا البلد من تناقضات حتى بدا لي النص كأنه موال طويل، تتداخل فيه نبرة العتابا مع صدى الزجل، ويعلو فيه الصوت الإنساني فوق كل شيء، ليصير الكتاب تجربة حسية كاملة، لا تُقرأ فقط بل تُعاش وتُسمع وتُستعاد.

الكتاب لا يتوقف عند حدود السرد، بل ينفتح على لحظة وجودية عميقة تجعل القارئ شريكا في الولادة ذاتها، كأننا لا نقرأ سيرة رفيق علي أحمد، بل نولد معه في تلك اللحظة الهشة من شهر سابع، حين كانت الحياة نفسها تقف على حافة الاحتمال، وحين خرج إلى العالم مثقلاً بقلق البدايات الأولى، في زمن لم تكن فيه الحياة وعودًا مكتملة، بل اختبارا دقيقًا للبقاء.

هناك، في ذلك التوتر الأول بين الحياة والعدم، تتشكل العلاقة بين القارئ والنص كنوع من المشاركة الوجدانية في المخاض، في عدم اليقين الذي نحمل معه هشاشة البداية، ونلمس معه ارتجاف الممكن، ونتقاسم معه صمت الأم التي لم تكتمل فرحتها بولادات سابقة، وقلق الأب الذي لم يسجّله حتى يتأكد أو كان ينتظر أن تتأكد الحياة من قرارها بالبقاء قبل أن تمنحه اسمًا واعترافًا.

ومن هذه العتبة الدقيقة يبدأ القارئ بالنمو مع رفيق، لا كمتلق لسيرة مكتملة، بل ككائن يرافق تشكّلها لحظةً بلحظة، لتصبح "الزيتونة" شقيقة الذاكرة ويقين الأرض والوجود والنفاذ من احتمالية النجاة إلى يقين الحياة، ومن ارتباك البداية إلى اتساع التجربة.

كأن النص يزرع فينا إحساسا بأننا لم نأتِ متأخرين إلى الحكاية، بل كنا جزءا من ولادتها الأولى، ننمو في إيقاعها، ونكبر معها في صمت حميميّ، يجعل من القراءة فعلا يشبه الحياة نفسها ولادةً مستمرة داخل ذاكرةٍ لا تنطفئ.

يأتي أسلوب الكتابة في هذا العمل كمساحة لغوية خاصة، تبدو في ظاهرها بسيطة، لكنها تنفتح على عمق فلسفيٍّ خفي، البساطة فيه ليست سطحًا، إنما طريق إلى الجوهر، إنها كتابة تنبض كحديث باطنيّ يستعيد الوجود في لحظاته الأولى، رقيقا وأليفا، ثم حادا ومفاجئا في الوقت نفسه، كأنه يوقظ القارئ من عادته في القراءة ليضعه أمام رؤية أكثر اتساعا للحياة.

تتشكل الجمل كأنها مشاهد بصرية لا تُقرأ فقط بل تُرى، نسقٌ يتنقل بين الإحساس والتأمل، بين الصورة والذاكرة، بين ما هو محسوس وما هو محتمل، كتابة تسافر في احتمالاتها تلك، كما يسافر التراب اللبناني في تفاصيله الصغيرة، من الجنوب إلى الجبل، من القرية إلى المدينة، من الصوت الشعبي إلى الصمت العميق، من البساطة إلى الشهرة، لبنان حاضر في كل جملة، في كل انزياح لغوي، وفي كل نبض سردي، تأتي بيروت نصا مسرحيا طويلا وكثيفا ملونا ومتناقضا، تصعيد وهدوء نسبي، خفوت ودخان وجمال.

حروف من حلم وأمل

رغم هذا الغنى الكثيف في مرحلة بيروت المدينة ورؤية الفلاح لعوالمها، يبقى النص شديد الألفة، لا يضع حاجزا بينه وبين القارئ، سواء كان بسيطا في تلقيه أو ناقدا في قراءته، إذ لا يتوقف عند حدود اللغة واللهجة، بل يتجاوزهما إلى جوهر أعمق، حيث تصبح اللهجة امتدادا طبيعيًا للصوت، لا عائقًا أمام الفهم، ويغدو المعنى أكبر من الفارق بين الفصحى والمحكي فالراوي حكّاء وتفاصيله عالقة موثّقة في مسرحياته التي كان يثبّتها مع كل لقطة ليقول لنا نعم استلهمت ذاتي الفنية من كل هؤلاء الفنانين بالفطرة الذين عشت معهم وسمعتهم وكوّنت كادر المسرح الأول في ذهني من تفاصيلهم أنا ابن الحياة وخشبتها.

إنها كتابة تُبنى كحالة وجودية أكثر منها تقنية سردية، سردٌ مشبع بروح لبنانية لا غبار على لبنانيتها في الذات والحياة، في الحضور والتفصيل، ليست ورقة عبور ولا وثيقة إثبات لهوية مقسّمة لا شرقية ولا غربية، إنها العشق للحياة وللبشر ولتفاصيل المكان الجنوبي اكتسح المسرح، حتى يبدو النص وكأنه كائنٌ حيٌّ يتنفس، لا يسعى إلى الإبهار لأن ما يفيض به في المعنى كفيل بإثارة المفهوم، فلا يطلب التفسير بل يدعو إلى المشاركة في إحساسه المتداخل العميق.

وأنا أقرأ حكاية رفيق علي أحمد، لم أكن أشعر أنني أتتبع مسار فنان فحسب، بل أسير معه فوق خشبة الحياة نفسها، بكيت عندما بكى وانتظرت شخصياته من عوالم ذهنه تقفز نحو المسرح، حيث تتداخل ظلال القرى الجنوبية مع أضواء المسارح، ويصبح الطريق بين الحلم والندبة ممرا واحدا صقله رفيق بالتعب، بالبحث، بالتجريب، بالعناد صاغ رؤاه متنقلا من حكّائي الضيعة إلى كبار المسرحيين ترى يعقوب الشدراوي ومنصور الرحباني والطيب الصديقي ونضال الأشقر في رقصة الشيطان التي تداخلت بذاتها مع ذاته وهو يشاهد عرض الممثل الواحد مع الفرنسي philippe cauber.

كان يخرج من بيئته اللبنانية المثقلة بالحروب والانتظار كما يخرج الممثل من العتمة إلى البقعة الضوئية الأولى حاملا ذاكرة الأرض في صوته، ورائحة التراب في جسده، وقلق الإنسان في عينيه، ومع كل محطة بين مسرح الحكواتي ومسارح لبنان ومهرجاناته العربية والعالمية، كنت أشاهد من سرده كيف كانت الخشبة تعيد صياغته، صقله، كان يشبه تلك الصورة التي رسمها في فسحة الدار وشكلها كوجه ناعم ومحتها أمه ولكنها لم تستطع محو الفن والجمال منه فكان يعيد صياغتها، حتى بدا المسرح لديه والفن قدرا وجوديا يختبر عبره معنى أن يكون المرء شاهدا ومشهودا عليه وشهيدا في آن.

في هذه السيرة، يتجلى رفيق علي أحمد كمن يتقن فن التقمص لأنه أتقن أولا فن الإصغاء العميق للحياة، لا يبالغ في تقديم نفسه بأسلوب مثالي بل كان الصدق مادته الأولى، صدّق نفسه وحلمه وحتى كابوس الوقوع من أعلى الجبل ذلك الذي لم يعبره بخوف مألوف، لأن الصدق الأدائي الذي لا يكتفي بإقناع المتفرج، الذي يحفر في الروح حتى يصبح الجسد نفسه نصا مسرحيا نابضا.

صفحات "خشبة الحياة"، تتشكل منها بيروت في كل مرحلة من جديد، بيروت تشبه تلك التي كانت تستعيدها غادة السمان من رمادها العاطفي، مدينة تتنفس تحت الأنقاض وتبتكر من الخسارات لغتها الخاصة، بين هدير الحرب وهمس الكواليس، كان رفيق يعجن هشاشة الإنسان بقوة الحكاية، ويحوّل الجرح إلى أداء، والذاكرة إلى فعل مقاومة جمالية.

بدت تجربته كلوحة ما ورائية تتجاور فيها أصوات الحكواتيين مع صرخات الأزمنة اللبنانية المتكسرة، وتتقاطع فيها طموحات الفنان مع أسئلة الوطن، كلما تقدمت في القراءة، أحسست أن المسرح لم يصقل موهبته فقط، بل صقل إنسانيته أيضا ليصنع منه فيلسوفا أو "المعلّم ابن المعلّم"، ليعبر لبنان إلى قلوبنا، حديثه عن أيام قرطاج المسرحية وعن كل مشاركاته أسلوب علّمه أن يسكن الآخر من الداخل والفن شكل من أشكال النجاة، وشكل من أشكال الحب.

قريتي ملهمتي

"القاعدة ما وجدت إلا لتكسر... ولا نظرية مقدسة في عالم الإبداع"، من خلال رؤية رفيق علي أحمد، لا يبدو المسرح مجرّد مساحة للتمثيل، بل فضاء يتكوّن فيه الإنسان على إيقاع الجرح والمعنى يسقط لينهض.

> **سيرة تفوح منها رائحة التراب المبلل بالمطر وصخب الحارات الدافئة وأصوات الناس البسطاء الذين ما زالوا يصنعون الحياة**

في تماسّه مع عالم منصور الرحباني منذ أول استماع له في جهاز الراديو بالضيعة وشخصية "مخوّل"، تعلّم أن الخشبة ليست زينة جمالية بل موقف وجودي، وأن الفن حين يكون صادقا لا يهادن ولا يتزيّن بالمجاملات، بل يصقل صاحبه كما تصقل النار المعدن، من تلك الزوايا الرحبانية التي تزاوج بين الحكاية والذاكرة والأسطورة، تفتّح وعيه على أن المسرح يمكن أن يكون وطنا بديلا، أو وطنا مُستعادا من رماد السياسة والانقسام.

وفي هذا المسار تتجاور في خلفية تكوينه أرواح نصوص كبرى حملت سؤال الإنسان في مواجهة مصيره من مأساة سقراط في لحظاته الأخيرة، يصبح الموت تمرينا على حرية الفكر، إلى حكم الرعيان بوصفها تأملا في العدالة البسيطة والسلطة الأولى للإنسان على ذاته، وصولا إلى الصفاء الرمزي عند جبران خليل جبران في "النبي"، حيث تتحول الكلمة إلى نبوءة خفيفة تمشي بين الناس كضوء داخلي، في هذا التقاطع بين الفلسفة والأسطورة والشعر، تشكّل وعي مسرحيّ رأى في الإنسان مشروعا دائم التكوّن، وفي الخشبة مرآةً لارتعاش الوجود نفسه، لا مجرد مساحة للأداء.

كما أخبره منصور الرحباني عند عراك فني موسيقي إبداعي "الأعمال المهمة ما بتصير مهمّة إلا بتبادل الآراء والأفكار والعراك الفكري وكل هذا لمصلحة العمل في النهاية".

يقول "لا أستطيع استعارة مسرحية من مكتبتي، التي قرأت غالبية كتبها، نعم تغنيني وتثري ثقافتي، وربما أستأنس بحالات شخصياتها ومواقفها، ولكني فُطرت كمسرحي عانى وتحمّل وعايش حروبا ومآسي تعجّ بها ذاكرته على رؤية ما لا يرى مما ينتظره من خوف وقلق وانعدام أمل في النظرة إلى مستقبله ومستقبل مجتمعه".

رغم كل الزحمة في وقع الذكريات والذاكرة التي حاكها وحكاها، فتحت تجربة رفيق علي أحمد الأفق الجمالي الذي لم يقد إلى المجد بقدر ما قاد إلى الحقيقة التي جعلت الجنوب أكثر من جغرافيا، والحرب أكثر من ذاكرة، والمسرح أكثر من فن.

إنه ذلك الضوء الخافت الذي لا يبدد العتمة كلها، لكنه يكفي لكي نواصل السير، يشبه فانوس بيتهم الذي حمله معه لبيروت.

رفيق علي أحمد "على خشبة الحياة" يصدح بصوته لسنا أبناء الحروب التي عبرت فوق رؤوسنا، بل أبناء الضوء الذي نجحنا في إنقاذه منها، وما المسرح إلا محاولة الإنسان الدائمة لأن ينتصر لمعناه، وأن يترك في وجه الريح أغنيةً أقوى من الخراب.

سيرة ذاتية ممتعة

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

طالب مكي رائد الصمت الذي أعاد رسم الهوية التشكيلية العراقية

مسيرة حافلة اختزلت وجع العراق وصموده في رمزية النخلة ورسوم الأطفال

تحلّ ذكرى رحيل الفنان العراقي الكبير طالب مكي لتسلط الضوء على تجربة بصرية استثنائية حوّلت الحرمان إلى هبة إبداعية صامتة. فمن ريادة رسوم الأطفال إلى معارضه النحتية والزيتية، ظل مكي امتدادا أصيلا لروح وادي الرافدين، مصرا على أن يمنح الألم ألوان الفرح وشموخ النخيل.

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

تمر علينا ذكرى رحيل الفنان العراقي الكبير طالب مكي، الذي رحل في 12 يونيو 2022، مخلفا وراءه إرثا بصريا وثقافياً عصيّاً على التكرار. لم يكن طالب مكي فناناً عادياً في سجل الفن العراقي المعاصر، بل حالة استثنائية جمعت بين صمت الجسد وصخب اللون، بين حرمان السمع والنطق وثراء الرؤية.

ولد في قضاء الشطرة بمحافظة ذي قار عام 1936، وغادرنا بعد مسيرة امتدت سبعة عقود، رسم خلالها البسمة على وجوه أطفال العراق، ونحت للأرض ذاكرتها المكسورة.

في قاعة دائرة الفنون التشكيلية افتُتح معرضه الشخصي الثاني تحت عنوان "نخيل"، ضم 37 عملاً زيتياً مختلف القياسات، باشر العمل بها منذ 2010. لم يكن المعرض استرجاعاً لحنين، بل بياناً أخيراً من فنان أدرك أن النخلة، شجرة العراق الأولى، هي أكثر من نبات: هي شاهد على مأساة، وعنوان لصمود، ومفردة لغوية في قاموس الهوية البصرية العراقية.

التحق طالب مكي بمعهد الفنون الجميلة قسم الرسم عام 1952، وتتلمذ على يد رائد الواقعية العراقية فائق حسن.. لكن ولعه بالنحت قاده إلى ورشة النحات الكبير جواد سليم، فصار ملازماً له حتى وفاته.. لم يكن تلميذاً عادياً، بل امتداداً ليد الأستاذ، قال عنه جواد سليم "إن طالب مكي هو الفنان الذي يمكن أن يفعل شيئاً من بعدي".. شهادة من مؤسس النحت العراقي الحديث لا تُمنح إلا لمن يمتلك "مشيما خاصا" يتغذى منه وحده، كما وصفه النقاد.

تساءل النحات محمد غني حكمت لاحقا "لماذا لا تُعطى للفنان طالب مكي الفرصة لتنفيذ أعمال كبيرة ويساهم في حركة النحت العراقي؟". السؤال يحمل في طياته إدراكاً بأن تجربة مكي لم تأخذ حقها المؤسسي الكامل، رغم تفردها.

في عام 1965 أسس مع مجموعة من زملائه "جماعة المجددين" التي ضمت كلا من الفنانين: نداء كاظم، سالم الدباغ، صالح الجميعي، عامر العبيدي، فايق حسين، إبراهيم زاير وسلمان عباس. كانت الجماعة مشروعا موضوعيا فكريا متجددا، سعت إلى كسر الجمود الأكاديمي وطرح تعابير إنسانية جديدة، شارك مكي في معارضها الخمسة في الفترة بين 1965 و1968، وفي معارض جماعية داخل العراق وخارجه، مؤكدا حضوره المبكر في المشهد.

فنان الصم والبكم

ما يميز مسيرة طالب مكي هو أنه فنان حُرم من نعمتي النطق والسمع منذ طفولته، لكن هذا الحرمان تحوّل في فلسفته البصرية إلى هبة سماوية. لم يمتلك لغة الكلام، فابتكر لغة اللون والكتلة، امتلك حصافة ذهنية متقدة، وحباً أزلياً لرسالته الفنية المخضبة والمعفرة بتراب ورائحة زمان ومكان بلده العراق وحضاراته المتتالية.

عمل معلما للرسم في معهد الصم والبكم منذ عام 1966، فكان الأقرب إلى تلاميذه لأنه يفهم صمتهم من الداخل، لم يشرح بالكلمات، بل بالخط والكتلة والظل. وهنا يكمن اللغز المحيّر في أعماله: كيف يستلهم ويطرح أفكاره دون وسيط لغوي؟ الإجابة تكمن في جذوره العميقة بوادي الرافدين. كان يرى، لا يسمع. وكانت عينه أذنا تلتقط إيقاع التاريخ.

الثيمة الرئيسية لمعرضه الأخير "نخيل" ليست اختيارا جماليا فحسب، بل موقف وجودي. جسّد مكي جذوع النخيل بأشكال هندسية متوازية تتطاول إلى الأعلى، بألوان تعبيرية متناسقة. لم يرسم النخلة كنبات، بل كحياة هندسية جديدة تشبه أعمدة المعابد السومرية.

التوازي والتطاول إلى الأعلى قراءة بصرية للصمود، النخلة عند مكي لا تنحني للريح، بل تصعد. لكنها تصعد موجوعة. بدأ العمل على هذه السلسلة عام 2010، أي بعد سنوات من حرق وتدمير ملايين النخلات العراقية منذ حرب الثمانينات وحتى اجتياح داعش.

النخلة هنا رمز للمأساة المستمرة للعراقيين منذ الثمانينات، لكنها أيضا رمز للموروث الحضاري والبيئة والإنسان الذي لم ينقرض رغم الدمار. اللافت في المعالجة هو المفارقة اللونية. وظّف مكي الألم العميق، لكنه صاغه بألوان الفرح والبهجة والسرور: الأخضر المائل إلى النضارة، الأصفر الشمسي، البرتقالي الدافئ. لم يرسم مأتماً، بل رسم مسحة أمل جديدة. كأنه يقول: النخلة تُحرق، لكنها لا تموت. والعراقي يُجرح، لكنه لا ينكسر. ولم لا وهو الفنان الشفاف الذي رسم البسمة على شفاه طفولتنا لأكثر من أربعة عقود؟

رائد رسوم الأطفال

بدأ طالب مكي الرسم للأطفال عام 1969 من خلال "مجلتي والمزمار". كان من المؤسسين الأوائل لدار ثقافة الأطفال في العراق، وشغل منصب رئيس الرساميين. وضع اللبنات الأولى الجادة لعملية الرسم للأطفال، ورسم مئات الأعمال: سيناريوهات، أغلفة، كتبا ثقافية، تخطيطات لمجلة "ألف باء" ومطبوعات أخرى.

عمل رساماً توضيحياً في مجلة "العاملون في النفط" منذ عام 1960، لكن إنجازه الأكبر كان في تأسيس مدرسة بصرية عراقية لطفل ما بعد الستينات، لم يقدم صورا مسطحة، بل عالما بصريا غنيا بالرمز والحركة.

صل على جائزة الرسم للأطفال عن رسومه لكتابي "أبو بكر الرازي" و"آشور بانيبال" في مسابقة الطفل التي أعلنتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986. كما نال جائزة الإبداع السنوية للثقافة العراقية عام 2015 في مجال الرسم. تكريماته امتدت من مهرجان مدارات بابل الثقافي عام 2008، إلى ملتقى بغداد للفن التشكيلي عام 2013، إلى معرض الكتاب الدولي في بغداد 2018. أقام معرضه الشخصي الأول "أشخاص" 1993، ومعرضا استعاديا عام 2006. كل هذه المحطات تؤكد أن مكي لم يكن رسام أطفال فقط، بل كان مربيا بصريا.

وتميزت أعمال طالب مكي، نحتاً ورسماً، بمفهوم فكري متجدد يستلهم الرموز التاريخية من الفن السومري والآشوري، ويمزجها مع العناصر الفلكلورية الشعبية العراقية. لكن اللافت هو أن "سيطرة وهيمنة فن النحت" عليه انسحبت جلياً إلى لوحاته الزيتية وتخطيطاته الورقية. كيف يتحول النحات إلى رسام؟

لا نجد خطاً رشيقاً في لوحات مكي، بل كتلا لونية حادة وقاسية في قوتها. اللون عنده كتلة مادية، كأنها طين أو حجر. يفرض سطوته الكاملة على ميوعة ونعومة سطح القماشة.

جذوع النخيل مرسومة كأعمدة، كمسلات، كأبراج. هذا التضخيم الهندسي يمنح اللوحة ثقلاً نحتياً، ويجعل المساحة المسطحة تبدو ثلاثية الأبعاد. الاختزال الميثولوجي: استبدال التفاصيل الطبيعية بأشكال جوهرية. النخلة ليست نخلة تصويرية، بل فكرة النخلة، رمز النخلة. تماماً كما اختزل السومريون الإله في تمثال حجري.. هذه القدرة على "نقل جوهر الرؤية النحتية إلى وسائط أخرى" تضيف عمقا وقوة تعبيرية لأعماله التصويرية. إذا اللوحة عند مكي ليست سطحا، بل جدار. والفرشاة ليست أداة تلوين، بل إزميل.

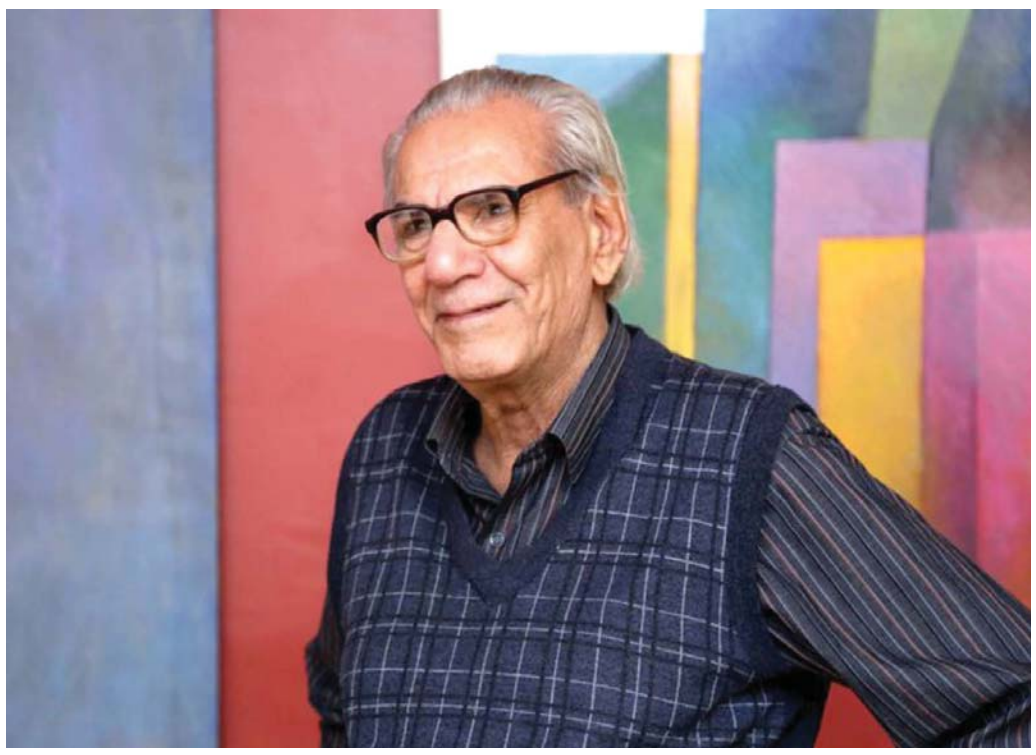

تجربة متميزة نهلت من نخيل العراق

تجربة فريدة

تجربة طالب مكي في الرسم والنحت، منذ بداياته، لا تشبه أي تجربة تشكيلية عراقية أو عربية أو حتى عالمية. لها ميزة خاصة وروحية متفاعلة. والسبب يعود إلى ثلاثة عوامل متلازمة: أولا: الجذر الحضاري حيث تغذّى من عمق حضارة وادي الرافدين مباشرة، لا عبر الكتب. نشأ في الشطرة، أرض سومر، فكانت أشكال الأختام الأسطوانية والثيران المجنحة تسكن لا وعيه قبل أن يسكنها. ثانيا: الصمت الإبداعي، فحرمانه من السمع والنطق عزله عن ضجيج المدارس الفنية والتيارات. لم يقلّد، لأنه لم يسمع "الموضة". بنى عالمه الخاص، وكأن له مشيمة خاصة يتغذى منها لوحده.

ثالثاً: المزاوجة بين الفنون، حيث لم يفصل بين النحت والرسم ورسم الأطفال. كلها عنده وسائل لقول شيء واحد: الإنسان العراقي كائن صامد، موجوع، لكنه يبتسم. سواء رسمها لطفل في "مجلتي" أو نحتها لشارع أو لوّنها في معرض "نخيل".

> لم يفصل بين النحت والرسم، فكلاهما عنده وسيلتان لقول شيء واحد: الإنسان العراقي صامد، موجوع، لكنه يبتسم

> تجربة الفنان العراقي الراحل طالب مكي هي تجربة إنسان قرر أن يجعل من عاهته منارة ومن ألم وطنه قصيدة لونية

ترك طالب مكي وراءه إرثا فنيا وثقافيا غنيا أثرى به جيلا كاملا من الأطفال والفنانين. معرض "نخيل" ليس خاتمة، بل وصية بصرية: احترق النخيل، لكن جذره في الأرض. قُطع الصوت، لكن اللون بقي.. في ذكرى رحيله، لا نستذكر فناناً رحل، بل نستذكر سؤالاً ظل حياً: كيف يمكن للفن أن يتحول من أداة تعبير إلى فعل مقاومة؟ إجابة طالب مكي كانت واضحة: حين تصعد النخلة رغم الحريق، وحين تضحك الريشة رغم الصمت.

تجربته ليس لها مثيل، لأنها تجربة إنسان قرر أن يجعل من عاهته منارة، ومن ألم وطنه قصيدة لونية. وهذه، في تاريخ الفن العراقي، مفردة لا تُعاد.

كيف أثر الفن المصري المعاصر في تجربتي التشكيلية؟

عدنان بشير معيتيق
فنان تشكيلي ليبي

ثمة صور متداخلة تستدعيها الذاكرة التشكيلية اليوم، صورٌ مرّ عليها أكثر من عقد من الزمان. ففي إحدى زياراتي للقاهرة سنة 2009، كان الموعد مع أحد أهم الأحداث الفنية في المنطقة العربية على الإطلاق؛ معرض "الفنون الجميلة.. مئة عام من الإبداع" بقصر الفنون في دار الأوبرا بالجزيرة.

تزامنت زيارتي مع افتتاح هذا الحدث الاستثنائي، وكان موقعه قريبا من محل إقامتي في الميدان الجميل؛ "ميدان المساحة" بالدقي في القاهرة، وهو ما أتاح لي أيضا زيارة متحف الفن المصري الحديث الواقع في المحيط نفسه تقريبا.

كانت تلك الفرصة بمثابة محطة تاريخية لمشروعي الشخصي في تعميق الفهم البصري، لاسيما تجاه التجارب المصرية الحديثة التي تُعتبر باكورة الفن التشكيلي العربي. لقد مكنتني هذه المواجهة البصرية من عقد مقارنة حية بين ما حصلته من معلومات نظرية سابقة حول هذه التجارب، وما وجدته شاخصا أمام ناظري من إبداعات رفيعة لحركات طليعية بدأت إرهاصاتها الأولى في مطلع القرن الماضي.

تنقلتُ بين الأعمال المعروضة للفنانين الرواد منذ مطلع القرن العشرين، سواء في معرض مئوية كلية الفنون الجميلة بقصر الفنون أو في متحف الفن المصري الحديث. تتبعتُ تجارب محمود سعيد، وأحمد صبري، وصلاح طاهر؛ واستوقفتني تعاويذ عبدالهادي الجزار التشكيلية، وعوالم حامد ندا، وحسين بيكار، وراغب عياد، وصلاح عبدالكريم، وحسن سليمان. كما تجلت رهافة التعبير عند شلبية إبراهيم، وتحية حليم، وزينب السجيني، وحامد عويس الذي وثق تفاصيل حياة البحارة بإطلالة بحر الإسكندرية في أبهى صورها.

وفي سياق بصري موازٍ لا يبعد كثيرا عن مناخ المعرض، صرّوح فنية كانت تطل بظلالها المتعددة، وفراغاتها البينية، وملامس أسطح موادها المتباينة بين الندبات المتبقية على الوجوه ونعومة سيقان وأطراف الخشب وتماسك الجرانيوليت وصدأ الحديد وتآكل قوامه مع القفزة المستحيلة، أعمال النحاتين جمال السجيني، ومحمود موسى، وعبدالهادي الوشاحي وإبراهيم عبدالملاك. وبهرتني الأعمال المذهلة للنحات محمود مختار في نهضة الوطن بأسره.

وامتدت الرحلة لتشمل عالم الأخوين سيف وأدهم وانلي، وعوالم السحر عند سعيد العدوي، وحسن التصرف التشكيلي عند حامد عبدالله في تخطيطاته لحياة الريف المصري، وصولا إلى تجريديات فاروق حسني، ومائيات عدلي رزق الله التي تحلق من فرح الصغار وأحلامهم إلى شجون الكبار وآمالهم، ورسومات وقصص جورج بهجوري بين السخرية والاحتفاء، ومواقف عزالدين نجيب التشكيلية في الحياة عبر الرسم.

تلك الأعمال غاية في الروعة، موزعة في متحف الفن المصري الحديث على طوابق عدة، وكأنها "حدائق للروح" تعبق بزهرات وورود متنوعة الألوان والأشكال والمذاق والرائحة.

كنت أتجول بمفردي، من قاعة إلى أخرى ومن طابق إلى آخر، أنزل السلالم ثم أعود إلى الأعلى من جديد، مدفوعا برغبة عارمة لإشباع النظر وشغف المعرفة، وتأمل لوحات كانت قد اشتعلت في ذاكرتي التشكيلية منذ أن اطلعت على بعضها منثوراً في الصحف والمجلات الثقافية المصرية، مثل "أخبار الأدب" ومجلة "أدب ونقد"، خصوصا مع تلك الهوامش والمتبقي من الحكاية في تخطيطات الفنان المصري جودة خليفة الحبرية البالغة الرهافة والرقة، منذ مطلع التسعينات، وهي المرحلة التي مثلت جزءا من حجر الأساس في تكويني الفني وتحصيلي المعرفي، تشكيليا وأدبيا.

> اتسعت رؤيتي بفعل التفاعل المباشر مع تجارب كانت هي الأولى في ملامسة إدراكي لتجارب رائدة في المنطقة العربية

كنت أغادر المعرض لأعود إليه في اليوم التالي بالحماسة نفسها، مستأنفا جولة جديدة من الفرجة ومتعة النظر على مدى ثلاثة أيام خلال الفترة الصباحية. ومما يسر لي ذلك، أن المتحف كان يقع في طريقي إلى مقر التدريب الخاص بعملي في مجال التأمين بميدان طلعت حرب (شركة مصر للتأمين)، وبما أن الدوام كان يبدأ من الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الرابعة مساء، فقد كان هناك متسع من الوقت للتجول داخل قاعات المتحف لأكثر من ساعتين يوميا.

خلال تلك الساعات، اتسعت رؤيتي وضاقت كلماتي بفعل التفاعل المباشر مع تجارب كانت هي الأولى في ملامسة إدراكي المبكر لتجارب رائدة في المنطقة العربية؛ تجارب تميزت بتواصلها مع الفهم التشكيلي العالمي والمدارس الطليعية، وخضعت لشروط العالمية بمنظور محلي أصيل، مستندة إلى الحضارة الفرعونية العريقة والموروث الشعبي المصري في قصص الوعي الجمعي، لاسيما خلال فترات الأربعينات والخمسينات والستينات، بما حملته من تطلعات وآمال لقلب الأمة وروحها.

إن هذا المرور السريع ليس سوى محاولة لاسترجاع بعض بقايا صور هي الأجمل في ذاكرتي، زيارات متعددة لأمكنة وأحداث فنية تداخلت في مدينة ضاربة بجذورها في عمق تاريخ الفنون والأصالة؛ حيث تعددت الزيارات للمعارض في الزمان والمكان نفسهما، وكانت المسافات قريبة جدا إلى حد التداخل، تتركز في معظمها بمنطقة الجزيرة، في مجمع الفنون والأوبرا.

جزء من حجر الأساس في تكويني (لوحة عبدالهادي الجزار)

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

بدايات المعرفة في السعودية ترويها أدوات التعليم القديمة

المحابر والمضمدة والمشد وسائل توثق جهود العلماء والنسّاخ والطلاب في حفظ العلوم ونقلها

لا تشكل الأدوات العلمية القديمة مجرد وسائل للتلقين بل تكشف عن نمط حياة كامل في المملكة العربية السعودية، حيث كان الإنسان تواقا للعلم فصنع من الخيزران الأقلام ومن خشب الطلح ألواحا ومن الحجر سراجا ينير العتمة ويساعد على القراءة ليلا، إذ كانت البيئة المحلية هي المصدر الأول لصناعة أدوات الكتابة والنسخ والحفظ.

أدوات شاهدة على قيمة العلم

الرياض - في عصور سبقت التعليم الحديث والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، كانت أغصان الأشجار وسعف النخيل والخيزران أقلاما لطلاب العلم والنسّاخ في المملكة العربية السعودية، وكانت أخشاب الأثل والطلح والسدر ألواحا تدون عليها المعلومات والمعارف، وكان السراج الحجري، الذي يُوضع بداخله زيت الودك مع الفتيل، مصدرا للضوء اللازم لأعمال القراءة والكتابة؛ أدوات بسيطة تختزل حكمة الإنسان وتوقه للعلم والمعرفة، من خلالها يمكن قراءة جوانب متعددة من حياة المجتمع، مثل طبيعة البيئة، والموارد المتاحة، والحرف اليدوية، ومكانة العلم، ودور المعلم، وعلاقة الطالب بالكتاب. فهذه الأدوات، وفق المهتمين بالتاريخ لا تكشف عن التعليم وحده، بل تكشف عن نمط حياة كامل. ومن هنا، فإن دراستها تفتح الباب أمام فهم أعمق للتاريخ الاجتماعي والثقافي في المملكة.

قبل انتشار الأقلام الحديثة صنع طلاب العلم والنسّاخ أقلامهم من أغصان الأشجار وسعف النخيل والخيزران. وكانت صناعة القلم تحتاج إلى مهارة ودقة، إذ لا يكفي قطع الغصن أو السعفة، بل يجب تهذيبها وتحديد طرفها بما يناسب طبيعة الخط والحبر والسطح المكتوب عليه. هذه التفاصيل الصغيرة تعكس مكانة الكتابة في الحياة العلمية القديمة، فالكتابة لم تكن فعلًا سريعًا كما هي اليوم، بل كانت ممارسة تحتاج إلى إعداد وصبر وعناية بالأداة والمادة والسطح.

وتكشف هذه الأدوات التعليمية التراثية في السعودية جانبا مهما من بدايات المعرفة وتفتح نافذة واسعة على مراحل مبكرة من تاريخ التعليم، حين كانت البيئة المحلية هي المصدر الأول لصناعة أدوات الكتابة والنسخ والحفظ.

وتكمن أهمية هذه الأدوات في أنها توثق البدايات الأولى للتعليم وأساليب التعلم القديمة، وتكشف كيف اعتمدت الأجيال السابقة على البيئة المحلية في صناعة أدوات الكتابة والنسخ وحفظ المعرفة.

فقبل انتشار المدارس الحديثة والوسائل التعليمية المطبوعة، اعتمدت الأجيال السابقة على ما توفره الأرض من أخشاب ونباتات ومعادن ومواد طبيعية، لصناعة الألواح والأقلام والأحبار والمحابر وأدوات تجليد الكتب. ومن خلال هذه المقتنيات لا يظهر التعليم القديم بوصفه ممارسة بسيطة فحسب، بل تجربة حضارية متكاملة تعكس شغفا عميقا بالعلم، وحرصًا واضحًا على حفظ المعرفة ونقلها بين الأجيال.

قال أستاذ التاريخ بجامعة القصيم والمهتم بجمع الأدوات التعليمية التراثية الدكتور حمد الصيخان إن اهتمامه بالتراث بدأ منذ أكثر من 27 عامًا، حين كان في المرحلة المتوسطة يجمع المقتنيات التراثية، قبل أن يتطور خلال سنوات الدراسة الجامعية إلى اهتمام متخصص بتاريخ التعليم والعلماء وطلاب العلم، مبينًا أن ما تحمله الأدوات التعليمية القديمة من قيمة تاريخية وثقافية كان دافعًا إلى البحث عنها واقتنائها وتوثيقها على مدى أكثر من ثلاثة عقود.

وأشار، في تصريح لوكالة الأنباء السعودية، إلى أن الحصول على هذه القطع جاء من خلال تتبع تاريخ التعليم والعلماء والنسّاخ في المملكة، والتواصل مع أسرهم وأبنائهم وأحفادهم، الأمر الذي أسهم في جمع العديد من الأدوات والمواد المرتبطة بالعملية التعليمية القديمة، ومنها الأقلام والمحابر والألواح التعليمية ووثائق التعليم ووسائل النسخ والكتابة.

ومن بين أبرز ما تضمه مجموعة الدكتور الصيخان أدوات ومواد تعود إلى فترات تاريخية مبكرة من الدولة السعودية، يتجاوز العمر التقديري لبعضها 300 عام، وتمثل هذه الأدوات شواهد تاريخية تعكس تطور البيئة التعليمية وجهود العلماء والكتّاب والنسّاخ في حفظ العلوم ونقلها بين الأجيال.

وبحسب الدكتور الصيخان لا تمثل هذه القطع أدوات قديمة فحسب، بل تعد مصدرًا معرفيًا يُظهر أساليب التعلم والتدوين التي عرفها المجتمع في مراحل تاريخية مختلفة، ويسهم في تعريف الأجيال المعاصرة بالوسائل التي استخدمها السابقون، وبالجهود التي بُذلت في سبيل بناء مجتمع العلم والمعرفة.

وتواصل الأدوات والمواد التعليمية القديمة دورها في حفظ الإرث التعليمي الوطني وتعزيز الوعي بتاريخ التعليم في المملكة، بوصفها شواهد حضارية تُظهر عمق التجربة التعليمية السعودية، وتبرز مكانة العلم في المجتمع ودوره في بناء الإنسان والتنمية عبر مختلف المراحل.

كما تمثل الأدوات والمواد التعليمية القديمة جانبًا مهمًا من الذاكرة الثقافية والتاريخية للمملكة، لما تحمله من دلالات توثق مراحل تطور التعليم وأساليبه عبر فترات زمنية مختلفة، وتعكس الجهود التي بذلها المعلمون وطلاب العلم في سبيل طلب المعرفة ونشرها رغم محدودية المتاحة آنذاك.

> من خلال هذه المقتنيات لا يظهر التعليم القديم بوصفه ممارسة بسيطة فحسب، بل تجربة حضارية تعكس شغفا بالعلم

وتسهم هذه الأدوات في إبراز جانب من تاريخ الحركة العلمية في المملكة، من خلال ما تحتويه من وسائل استخدمت في التعليم والكتابة وحفظ العلوم، وتكشف عن قدرة المجتمع على الاستفادة من الخامات الطبيعية المتوفرة في البيئة المحلية وتحويلها إلى أدوات دعمت مسيرة التعلم وأسهمت في نشر العلوم والمعارف وتداولها بين الأجيال.

وتشمل الوسائل التعليمية المستخدمة قديمًا أدوات متنوعة للكتابة والتدوين، صُنعت من خامات محلية متاحة وأسهمت في دعم العملية التعليمية وحفظ المعرفة، إذ اعتمدت صناعة الأحبار على عدد من المواد الطبيعية، من أبرزها شجر التنوم، ونبات الرين، والزعفران، والعصفر، والسَّنا، والفحم، وقشور الرمان، والصمغ العربي، والزاج، وفق ما ذكرته وكالة الأنباء السعودية. واستخدمت كذلك الألواح التعليمية المصنوعة من أخشاب الأثل والطلح والسدر في تعليم القراءة والكتابة وحفظ النصوص، إلى جانب الأقلام المصنوعة من أغصان الأشجار وسعف النخيل والخيزران.

وبرزت المحابر بوصفها جزءًا أساسيًا من أدوات الكتابة، إذ تنوعت أشكالها ومواد صناعتها، ومن بينها المحبرة النجدية التي عُرفت بجودتها، إلى جانب المحابر الأسطوانية والمحابر الشرقية المزخرفة، فضلًا عن المحابر النحاسية ومحابر الصاج والمحابر الزجاجية الملونة ومحابر القباب.

وشملت الأدوات المستخدمة في حفظ المؤلفات وصناعة الكتب وتجليدها عددًا من الوسائل المتخصصة، من أبرزها "المضمدة" التي استُخدمت في إحكام تثبيت الكتاب تمهيدًا لعمليات الخرز والخياطة والنقش على الأغلفة الجلدية، و"المشد" الذي يُستخدم في شد الجلد الخارجي للكتاب والمحافظة على تماسكه بعد التجليد.

ولم تقتصر الوسائل المرتبطة بالتعليم والنسخ على أدوات الكتابة وصناعة الكتب، بل شملت أيضًا وسائل الإضاءة التي كانت تعين العلماء وطلاب العلم على القراءة والمطالعة ليلًا، من ذلك السراج الحجري الذي كان يعمل بزيت الودك. ويرى المؤرخون أن هذه الصورة تحمل دلالة إنسانية عميقة، فطالب العلم لم يكن ينتظر ظروفا مثالية للتعلم، بل كان يقرأ على ضوء محدود، ويبذل جهدا كبيرا في بيئة لا تعرف الكهرباء ولا المصابيح الحديثة. لذلك، فإن السراج القديم لا يروي فقط تاريخ الإضاءة، بل يروي قصة الإصرار على المعرفة رغم قسوة الظروف.

كما تكشف الكتاتيب وحلقات العلم عن طبيعة التعليم قبل المدارس الحديثة، حين كانت الكتاتيب وحلقات العلم والمساجد والمجالس العلمية هي المساحات الأساسية للتعلم. كان الطالب يتعلم القراءة والكتابة والحفظ على يد معلمه، مستخدمًا اللوح والقلم والحبر، في بيئة تعتمد على التكرار والانضباط والحفظ والمشافهة. ورغم بساطة الأدوات، فإن هذه المرحلة أسست لوعي معرفي مهم، وأسهمت في بناء أجيال حملت العلم والدين واللغة والكتابة في مجتمع كان يرى التعليم قيمة كبرى.

> قبل انتشار الأقلام الحديثة، صنع طلاب العلم والنسّاخ أقلامهم من أغصان الأشجار وسعف النخيل والخيزران

وقبل انتشار الطباعة الحديثة كان النسّاخ يقومون بدور محوري في نقل الكتب وحفظها. كانوا يكتبون بخط اليد، ويراجعون النصوص، ويحافظون على ترتيب الصفحات، ثم تأتي مرحلة التجليد والحفظ. ومن خلال أدوات الكتابة والتجليد، يمكن تخيل الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء في خدمة العلم. فالكتاب الواحد كان يحتاج إلى وقت طويل، وكانت الأخطاء تحتاج إلى تصحيح دقيق، وكانت جودة الخط والحبر والورق أو الجلد تؤثر في عمر النص. لذلك، فإن أدوات التعليم القديمة هي أيضًا أدوات حفظ للذاكرة العلمية.

تكشف هذه المقتنيات أن التعليم في المملكة لم يبدأ مع المدارس الحديثة فقط، بل له جذور أقدم ارتبطت بالكتاتيب والعلماء والمجالس وحلقات الدرس. ومع تطور الدولة وتوسع مؤسساتها، انتقل التعليم إلى مراحل أكثر تنظيمًا، لكنه ظل محتفظًا بجذوره الأولى التي قامت على احترام المعرفة والحرص على التلقي والتدوين. ومن هنا، فإن استحضار الأدوات القديمة لا يعني الوقوف عند الماضي، بل فهم الطريق الطويل الذي قاد إلى منظومة تعليمية حديثة.

يرى المهتمون بتاريخ التعليم أن هذه الأدوات لا ينبغي النظر إليها بوصفها تراثًا ماديًا فقط، لأنها تحمل دلالات معرفية وثقافية أعمق. فهي توثق جهود العلماء والنسّاخ والطلاب والمعلمين في حفظ العلوم ونقلها. كما تكشف عن أن التعليم لم يكن معزولًا عن المجتمع، بل كان جزءًا من الحياة اليومية، ومن علاقة الإنسان ببيئته، ومن تقديره للكتاب والقلم. ولهذا، فإن دراسة الأدوات التعليمية القديمة تساعد على فهم التاريخ الاجتماعي والثقافي، لا التاريخ التعليمي وحده.

العباءة النجفية.. فن تراثي يزداد أصالة

النجف (العراق) - في زقاق صغير يقع على يسار السوق الكبير بمحافظة النجف، حيث تصطف محال متواضعة لا تتجاوز مساحة الواحد منها مترين في مترين أو مترين في ثلاثة أمتار، تتحرك الأنامل بين خيوط الحرير وصوت الجومة اليدوية لتتجسد واحدة من أعرق الحرف التراثية التي ما زالت تقاوم الحداثة وتحافظ على أصالتها.. إنها العباءة النجفية.

وليست العباءة النجفية مجرد لباس عربي، بل جزء من هوية المدينة وتراثها الاجتماعي والثقافي الذي يمتد عبر أجيال متعاقبة.

وتتميز العباءة النجفية عن غيرها من العباءات في المدن العراقية الأخرى بنوعية الصوف المستخدم في صناعتها، فضلاً عن خفة وزنها وجودة حياكتها، إذ لا يتجاوز وزن بعض أنواعها 250 غراما ما يجعلها مريحة للارتداء ومطلوبة لدى الزبائن من داخل العراق وخارجه، كذلك أسعارها التي تتراوح بين 100 دولار وأكثر من 1000 دولار.

وتشتهر محافظة النجف بصناعة العباءة الرجالية بأنواعها وأصنافها وأشكالها والتي كل ما تقدم بها الزمن زادت أصالة وأصبحت فنا تراثيا عريقا لتصنف على أنها من التراث الشعبي الذي تميزت به المدينة عن باقي المحافظات العراقية والدول العربية.

ويرجع تاريخ صناعة العباءة في المدينة إلى أكثر من 130 عاما حيث جابت العباءة النجفية جميع محافظات العراق وأغلب دول الخليج العربي.

وقال حمودي حسن العبايجي بائع وصانع العباءة النجفية (65 عاما) إن هذه الصنعة قد ورثها من والده الذي ورثها بدوره عن والده الحاج مهدي العبايجي الذي ناهز عمره المئة عام، مشيرا إلى أن محافظة النجف الأشرف تعد أقدم مكان لصناعة العباءة الرجالية في العراق والوطن العربي وأفضلها بجودتها وفنها التراثي النجفي. وأضاف أن العباءة تقسم إلى أربعة أنواع حسب الفصول والمناسبات الخاصة، فمنها الصيفية والتي تسمى "البشت" الخفيفة الوزن ومنها اليدوية "المغزل" وأيضا "الصناعية"، إضافة إلى العباءة الأخرى التي تسمى "البهارية" والتي تلبس في الفترة الربيعية والخريفية ويكون وزنها خفيفا أيضا. وأما العباءات من النوع الثالث والذي يسمى "الدگاك" فيرتديها الرجال في فترة الشتاء ويكون وزنها أكثر من 2 كيلو ونصف وتكون غالبيتها صناعية لصعوبة حياكتها يدوياً. وهناك العباءة السوداء "الخاجية" والتي يكون صوفها أبيض ويُصبغ إلى اللون الأسود وتلبس في المناسبات الحزينة.

وتمر صناعة العباءة بمراحل عديدة تبدأ بشراء الغزل ذي الجودة العالية، ثم إخضاعه لعمليات دقيقة تشمل التنظيف والفرز والمعالجة، قبل أن ينتقل إلى مرحلة الحياكة والخياطة اليدوية التي تتطلب مهارة متوارثة وخبرة طويلة لضمان إنتاج عباءة تحمل المواصفات التي اشتهرت بها النجف.

ورغم التطور الصناعي ودخول المنتجات المستوردة إلى الأسواق، فإن عددا من الحرفيين النجفيين لا يزالون متمسكين بهذه المهنة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

وبحسب عباس محمد، الذي ورث مهنة خياطة العباءة الرجالية عن آبائه وأجداده، يستغرق إنجاز عباءة رجالية واحدة وقتاً طويلاً، ولاسيما عباءات الوبر الفاخرة التي يرتديها الأمراء وشيوخ العشائر والوجهاء ورجال الدين.

وقال محمد، لوكالة الأنباء العراقية الخاصة، إن العباءة النجفية التقليدية تُصنع من أنواع مختلفة من الصوف أو الوبر تبعاً للجودة والسعر، مشيرا إلى أن أفخمها هي المصنوعة من وبر الإبل، ولاسيما الوبر الناعم المستخرج من الإبل الصغيرة، لما يتميز به من خفة الوزن والدفء والقيمة العالية.

ويستخدم صوف الأغنام على نطاق واسع في صناعة العباءات المتوسطة والاقتصادية، إذ يمنحها المتانة والدفء، فيما يعد خليط وبر الإبل مع صوف الأغنام أو الألياف الأخرى من أكثر الخامات انتشاراً حالياً، لما يوفره من توازن بين الجودة والكلفة.

وتصنع بعض العباءات المعاصرة من خيوط صناعية أو من مزيج بين الألياف الصناعية والصوف، بهدف تقليل الكلفة وزيادة المتانة. ولا تزال العباءة النجفية الفاخرة تُعرف محلياً باسم "عباءة الوبر"، وتُخاط يدوياً داخل المحال الصغيرة المنتشرة في أزقة السوق الكبير.

> العباءة النجفية تتميز عن غيرها بنوعية الصوف المستخدم في صناعتها، فضلا عن خفة وزنها وجودة حياكتها

وتاريخياً كانت النجف تستورد أقمشة العباءات من مناطق اشتهرت بنسج الوبر والصوف في العراق وسوريا وإيران، قبل أن تتولى أيادي الحرفيين النجفيين عملية تفصيلها وخياطتها وفق الطراز النجفي المعروف.

ومن أشهر أنواع العباءات المتداولة بين الخياطين عباءة الوبر، وعباءة "اللندني"، والعباءة الصيفية الخفيفة، ولكل نوع منها خاماته الخاصة ودرجات متفاوتة من الجودة والأسعار.

ومن أهم رواد هذه الصنعة التراثية هم شيوخ العشائر والقبائل العربية في القرى والأرياف لأنهم أكثر استخداماً للعباءة باعتبارها الزي الرسمي لهم.

كما يحرص العديد من الزائرين على شرائها وإهدائها للأهل والأقارب والأصدقاء تبركاً بقدسية المدينة ومكانتها الدينية.

ويتم التحضير لكل موسم قبل فترة وجيزة من خلال شراء الأصواف والخيوط وغيرها من المستلزمات، لكن في فترة الموسم ترتفع الأسعار، خصوصا وأن السوق يرتاده العديد من الزبائن من كل إنحاء العراق و الخليج العربي من البحرين والكويت والسعودية.

كما تحتل العباءة النجفية مكانة خاصة لدى أبناء البدو الرحل، إذ تُرتدى في المناسبات الاجتماعية المهمة، ولاسيما حفلات الزواج والخطوبة.

ويعد رجال الدين في النجف من أقل الفئات إقبالاً على شراء العباءات الجديدة، نظراً لاستخدامهم العباءة الواحدة لسنوات طويلة، فضلاً عن انشغالهم بالدراسة والتدريس في الحوزة العلمية وعدم اهتمامهم الكبير بمواكبة أنواع الأقمشة أو الموديلات الحديثة، وفق وكالة الأنباء العراقية الخاصة.

وبحسب نفس المصدر، غالباً ما يفضل رجل الدين إنفاق أمواله على شراء الكتب والمصادر العلمية بدلاً من اقتناء العباءات الجديدة، لذلك تجد في بيوت العديد منهم مكتبات تضم مئات الكتب وبعض النسخ النادرة.

إرث مهني وثقافي

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

محمد وهبي: فخور بـ«جرأة» لاعبي المغرب أمام البرازيل

إشادة محلية ودولية بمردود أسود الأطلس في رحلة المونديال

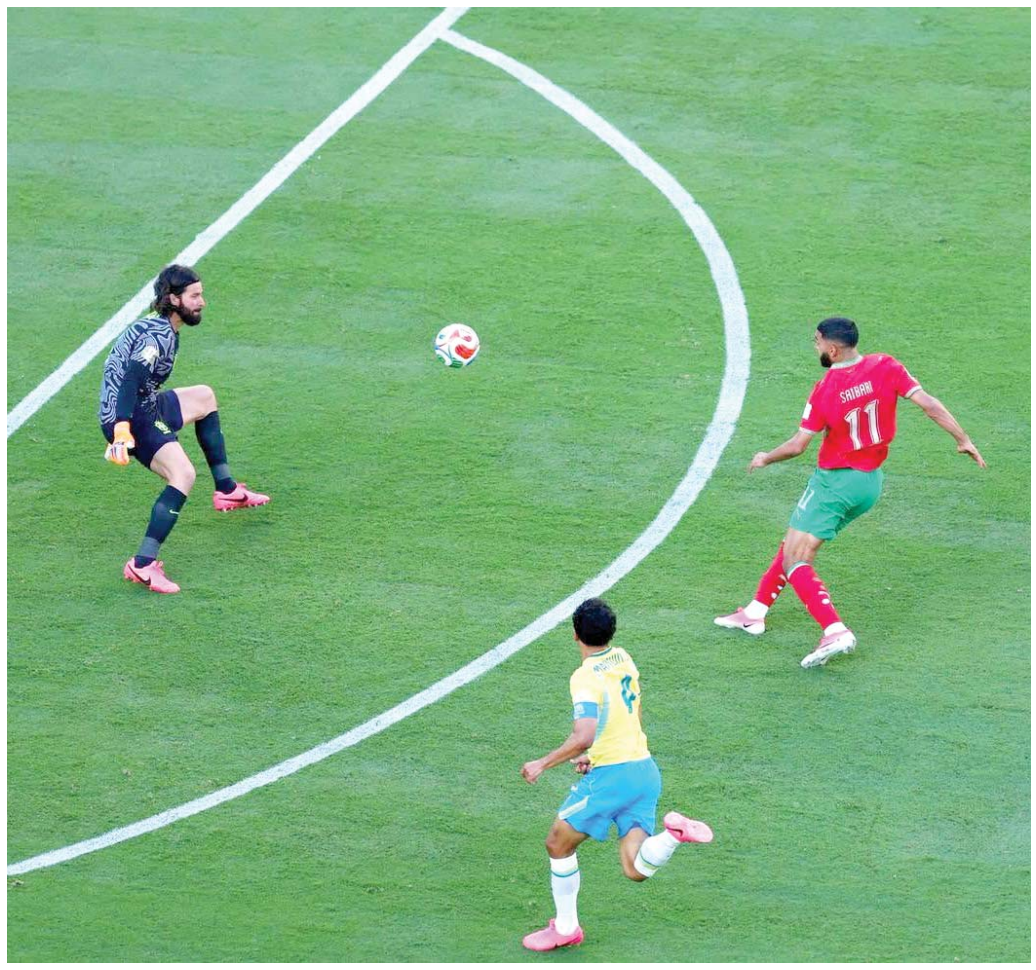

لمسة فنية رائعة

أجمعت ردود الأفعال المحلية في المغرب والدولية على الوجه الجيد الذي ظهر به منتخب أسود الأطلس في مستهل مشاركته بمسابقة كأس العالم 2026، وسط إشادة المدرب محمد وهبي بالمستوى الفني والتكتيكي للاعبيه عقب التعادل مع منتخب البرازيل.

نيوجيرسي (الولايات المتحدة) - أعرب مدرب المنتخب المغربي لكرة القدم محمد وهبي عن فخره بجرأة لاعبيه في مواجهة البرازيل بطل العالم خمس مرات وانتزاعهم التعادل الإيجابي بهدف لمثله، السبت في نيوجيرسي في الجولة الأولى من منافسات المجموعة الثالثة في نهائيات كأس العالم في أميركا الشمالية.

وقال وهبي في مؤتمر صحفي عقب المباراة "أنا فخور جدا باللاعبين لأنهم تحلّوا بالجرأة، وتجرؤوا على التمكن من السيطرة على الكرة والضغط".

وأوضح المدرب الذي خاض أول مباراة في بطولة كبرى على رأس الإدارة الفنية لأسود الأطلس بعدما خلف سلفه وليد الركراكي صاحب إنجاز نسخة عام 2022 في قطر عندما أنهاها في المركز الرابع، "أعتقد أنها كانت مباراة جميلة سواء للمشجع البرازيلي أو للمشجع المغربي".

وتابع "لقد واجهنا منتخبا من مستوى عال، وكنا جميعا ندرك ما كان على المحك، والآن علينا تصحيح ما قمنا به بشكل خاطئ".

ورفض وهبي المقارنة بين مباراة السبت والمباراة الافتتاحية في مونديال عام 2022 عندما تعادل المغرب مع كرواتيا سلبا، وقال "لا مجال للمقارنة مع المباراة التي خضناها ضد كرواتيا في عام 2022. أما إذا سُئلت إن كنا سنسلك المسار نفسه، فأعتقد أن الجواب لا"، لافتا "أريد أن نسلك مسارا مختلفا نصل فيه إلى أبعد مدى، سنتحسن، نلتزم بمبادئ لعبنا، وقد فعلنا الشيء نفسه أمام النرويج، أظهرنا أسلوبنا، قمنا بعمل جيد ونحن راضون".

وأردف المدرب المغربي "لدينا ثقة في أنفسنا للمستقبل، ولست محبطا من التعادل. قبل النزول إلى أرض الملعب، قلت للاعبين إن لدينا لاعبين يبدؤون المباراة ولاعبين ينهونها، خصوصا في مباراة كهذه ذات إيقاع مرتفع جدا".

وبعد اللقاء، أجمعت الأوساط الرياضية المحلية والدولية على المردود الباهر الذي ظهر به زملاء أشرف حكيمي، فضلا عن الانضباط التكتيكي وإحراج منتخب السيليساو بالضغط العالي في مناطقه الخلفية.

وقال المغربي ناصر لارغيت، مدير أكاديمية محمد السادس والمدير الفني للاتحادين المغربي والسعودي سابقا، إن منتخب بلاده بإمكانه تكرار إنجاز قطر والذهاب بعيداً في نسخة كأس العالم 2026 رغم صعوبة مجموعته التي تضم البرازيل وهايتي وإسكتلندا، مشيرا إلى أن "الخطر الأكبر ليس منافسا بعينه، بل التوقعات التي قد تؤثر على 'أسود الأطلس'".

وأضاف لارغيت في تصريح إعلامي "المغرب يملك المقومات اللازمة للتأهل إلى نصف النهائي مجددا بلا شك، هذه مجموعة من اللاعبين وصلت إلى مرحلة النضج الكامل، وتضم عناصر عالمية المستوى في جميع المراكز، كما اكتسبت ثقافة المنافسة في البطولات الكبرى منذ مونديال 2022، مستدركا "لكن يجب الانتباه إلى أن المجموعة التي تضم البرازيل صعبة للغاية، وأن أكبر خطر يواجه المغرب ليس منافسا بعينه، بل ثقل التوقعات. فبعد الوصول التاريخي إلى نصف النهائي، لم يعد المغرب المنتخب المفاجأة، بل أصبح المنتخب الذي يترقب الجميع سقوطه".

> وسائل الإعلام البرازيلية وجهت انتقادات لاذعة لضعف الأداء الجماعي لأبناء مدرب السيليساو كارلو أنشيلوتي

وتابع لارغيت "يمكن للمغرب الذهاب بعيداً، لكن الأمر يحتاج إلى هدوء وثقة، وإلى ذلك القدر من الحظ الذي يرافق القصص الكبيرة"، موضحا أن "التحدي الحقيقي بالنسبة لمحمد وهبي ليس تكتيكياً، بل نفسياً، فعليه أن يحرر اللاعبين من ثقل الماضي حتى يلعبوا بطموح لا بخوف من خيبة الأمل، وأنا أثق بقدرته على ذلك، كما أكن احتراماً كبيراً للعمل الذي قام به وليد الركراكي، والذي يترك خلفه واحدة من أفضل الفترات في تاريخ كرة القدم المغربية".

وأجمع عدد من المدربين المغاربة في تصريحات لـ"snrt news" المحلية على أن المنتخب المغربي قدم واحدا من أفضل أشواطه خلال السنوات الأخيرة، خاصة في النصف الأول من المباراة، حيث فرض سيطرة واضحة على مجريات اللعب، سواء من حيث امتلاك الكرة أو خلق الفرص أو الضغط على المنافس.

واعتبر المدرب يوسف المريني أن المنتخب المغربي نجح في فرض "سيطرة ميدانية شاملة" خلال الشوط الأول، بفضل إيقاع لعب مرتفع وكتلة دفاعية متقدمة مكنت اللاعبين من الضغط بشكل متواصل على المدافعين البرازيليين ومنعهم من الخروج السلس بالكرة.

بدوره، اعتبر محمد مديحي، اللاعب الدولي السابق والمدرب الحالي، أن المنتخب المغربي كان الأفضل على جميع المستويات خلال بداية اللقاء، سواء من حيث امتلاك الكرة أو صناعة الفرص، مؤكدا أن النتيجة النهائية لم تعكس تماما مجريات الشوط الأول الذي كان بإمكان المغرب أن يخرج منه متقدما بأكثر من هدف.

ويرى يوسف المريني أن أيوب بوعدي ونائل العيناوي كانا العامل الحاسم في هذا التفوق، بعدما نجحا في استرجاع الكرة بشراسة إيجابية، وربطا الدفاع بالهجوم، والمشاركة المستمرة في بناء اللعب من الخلف.

دوليا، أثار التعادل بين المغرب والبرازيل ردود فعل واسعة وانتقادات لاذعة في وسائل الإعلام البرازيلية.

وركزت معظم التعليقات على ضعف الأداء الجماعي للمنتخب البرازيلي، خاصةً خلال الشوط الأول، إلى جانب التساؤلات بشأن اختيارات المدرب كارلو أنشيلوتي التكتيكية وإدارته للمباراة، مع الإشادة بالدور الذي لعبه فينيسيوس في تجنيب الفريق الخسارة.

ووصفت صحيفة "لانس" البداية البرازيلية في البطولة بأنها "مخيبة للآمال"، مشيرةً إلى أن المنتخب عانى من تذبذب المستوى، وفشل في فرض سيطرته على مجريات اللقاء.

وانتقدت الصحيفة الأخطاء الدفاعية، خاصةً الخطأ الذي ارتكبه غابرييل ماجالهايس وأسهم في هدف المغرب، كما أشارت إلى تراجع مردود بعض اللاعبين، على رأسهم لوكاس باكيتا الذي بدا بعيدًا عن مستواه المعتاد، ورافينيا الذي لم يقدم الإضافة المنتظرة هجوميًا.

ورأت الصحيفة أن التغييرات التي أجراها المدرب كارلو أنشيلوتي، لم تُحدث التأثير المطلوب، معتبرةً أن المنتخب تجنب الخسارة، لكنه خرج بإحساس أنه أهدر فرصة لتحقيق الفوز.

وسجل إسماعيل الصيباري هدف التقدم للمنتخب المغربي، في الدقيقة الـ21، قبل أن يدرك فينيسيوس جونيور التعادل للبرازيل، في الدقيقة الـ32، على ملعب ميتلايف في نيوجيرسي.

رهان سعودي على تخطي عقبتي إسبانيا وأوروغواي في كأس العالم

واشنطن - يتصدر منتخب إسبانيا لكرة القدم، بطل أوروبا، ومنتخب أوروغواي، أحد القوى الكبرى في أميركا الجنوبية، مشهد المجموعة الثامنة في بطولة كأس العالم لكرة القدم، والتي تضم أيضا المنتخب السعودي الذي فجر مفاجأة مدوية بفوزه على منتخب الأرجنتين بقيادة ليونيل ميسي قبل أربعة أعوام، إلى جانب كاب فيردي (الرأس الأخضر) الوافد الجديد والصغير على الساحة العالمية.

وستقام المباراة الأكثر ترقبا في المجموعة خارج الولايات المتحدة، حيث ستلتقي أوروغواي مع إسبانيا في مدينة غوادالاخارا المكسيكية يوم 26 يونيو. وكانت المواجهتان السابقتان الوحيدتان بين المنتخبين في كأس العالم قد انتهتا بالتعادل عامي 1950 و1990.

وستحتضن مدينة أتلانتا مباراتين في المجموعة، وكلتاهما لإسبانيا، بينما تستضيف ميامي مباراتين أخريين لأوروغواي، أما المباراة الوحيدة في المجموعة التي ستقام بمدينة هيوستن فستجمع بين الرأس الأخضر والسعودية.

وتعافى المنتخب الإسباني من خيبة الخروج من دور الـ16 في مونديال 2022 أمام المغرب، بتتويجه بلقب كأس أمم أوروبا 2024 في ألمانيا. كما أحرز لقب دوري الأمم الأوروبية عام 2023، وحل في المركز الثاني بعد البرتغال في نسخة 2025.

ولم يتجاوز المنتخب الإسباني دور الـ16 في كأس العالم منذ تتويجه بلقبه الوحيد عام 2010.

ويتولى تدريب المنتخب الإسباني لويس دي لافوينتي، وهو مدرب سابق لمنتخب الشباب، منذ استقالة لويس إنريكي عقب كأس العالم 2022.

ومن المنتظر أن يقود ثلاثي برشلونة المنتخب الإسباني. ففي الهجوم سيخوض لامين يامال (18 عاما) أول مشاركة له في كأس العالم، بينما سيتولى باو كوبارسي (19 عاما) قيادة الخط الخلفي، وسيشكل بيدري محور خط الوسط الذي من المرجح أن يضم أيضا رودري لاعب مانشستر سيتي بعد تعافيه من إصابة طويلة في الركبة.

وتعد دولة الرأس الأخضر، التي يبلغ عدد سكانها نحو 500 ألف نسمة، ثالث أصغر دولة تتأهل إلى كأس العالم بعد أيسلندا وكوراساو، التي تعد الأصغر على الإطلاق.

> المنتخب السعودي تصدر العناوين في مونديال قطر 2022 عندما تغلب على المنتخب الأرجنتيني بهدفين لهدف في دور المجموعات

ونجح الأرخبيل المكون من عشر جزر بركانية قبالة الساحل الغربي لأفريقيا في حجز أحد المقاعد التسعة المباشرة المخصصة للقارة الأفريقية، متفوقا في مجموعة ضمت الكاميرون وأنغولا. وفاز منتخب "القروش الزرقاء" بجميع مبارياته الخمس على أرضه في التصفيات دون أن تهتز شباكه بأي هدف.

ويتولى تدريب المنتخب بيدرو ليتاو بريتو، المعروف باسم "بوبيستا"، منذ عام 2020. وكان القائد والمدافع السابق للمنتخب الوطني قد لعب سابقا في أندية صغيرة بإسبانيا والبرتغال.

ويسجل المنتخب السعودي ظهوره الثالث على التوالي في كأس العالم. وقد تصدر العناوين في مونديال قطر 2022 عندما تغلب على المنتخب الأرجنتيني، الذي توج لاحقا باللقب، بنتيجة 2 – 1 في دور المجموعات.

وعززت السعودية قوة دوريها المحلي بالتعاقد مع نجوم عالميين مثل كريستيانو رونالدو وكريم بنزيمة، وهو ما ساهم في رفع مستوى المنتخب الوطني.

وما بين أول مشاركة في مونديال 1994 وآخر مشاركة حالياً بمونديال 2026، يسعى المنتخب السعودي لتكرار إنجازه الذي حققه في مونديال أميركا عام 1994عندما بلغ الأدوار الإقصائية بالوصول إلى دور الـ16.

ورسخ الأخضر حضوره في المونديال للمرة السابعة والثالثة توالياً منذ مشاركته الأولى، ولم يغب الصقور منذ ذلك الوقت عن المونديال سوى في نسختي 2010 و2014.

وخاض المنتخب السعودي 19 مباراة في المونديال خرج منها بأربعة انتصارات على المغرب 2 – 1 وبلجيكا 1 – 0 بهدف مارادوني لسعيد العويران، وحقق الفوز في 2018 على حساب مصر 2 – 1 وكرر نفس النتيجة في 2022 ولكن ضد حامل اللقب الأرجنتين مسجلاً مفاجأة مدوية لن ينساها تاريخ البطولة.

تطلع إلى معانقة النجاح

الفراعنة يبحثون عن أول انتصار تاريخي في كأس العالم ضد بلجيكا

سياتل (الولايات المتحدة) - يستهل منتخب مصر مشواره في مسابقة كأس العالم لكرة القدم بمواجهة قوية أمام نظيره البلجيكي، الاثنين، على ملعب "لومن فيلد" بمدينة سياتل، ضمن منافسات المجموعة السابعة.

ويتفوق منتخب مصر في المواجهات المباشرة أمام منافسه، حيث حقق ثلاثة انتصارات مقابل فوز وحيد لبلجيكا في أربع مباريات ودية، سجل خلالها الفراعنة 7 أهداف مقابل 4 أهداف في شباكهم.

وكان آخر فوز لمصر بنتيجة 2 – 1 خلال نوفمبر 2022 وقبلها فاز بهدف في ودية أقيمت خلال فبراير 1999 بخلاف فوز عريض بنتيجة 4 – 0 في ودية أقيمت في فبراير 2005 بينما حقق منتخب بلجيكا فوزه الوحيد بنتيجة 3 – 0 في مباراة ودية أقيمت في يونيو 2018.

وهذه أول مباراة رسمية بين المنتخبين، وكلاهما يسعى لتحقيق فوز يعزز فرص تأهله للدور الثاني من المجموعة السابعة التي تضم أيضا منتخبي إيران ونيوزيلندا.

ولن تكون مهمة المنتخب المصري بقيادة مديره الفني حسام حسن سهلة في تحقيق الفوز على بلجيكا، نظرا للفوارق الفنية والتاريخية بين المنتخبين.

فالمنتخب المصري رغم كونه الأكثر تتويجا بلقب كأس أمم أفريقيا برصيد سبع مرات آخرها ثلاثة تتويجات متتالية في 2006 و2008 و2010، والوصافة في عامي 2017 و2022، يستعد لمشاركته الرابعة فقط في كأس العالم بعد ثلاث مشاركات سابقة في 1934 و1990 بإيطاليا و2018 في روسيا.

في المقابل يشارك منتخب بلجيكا في المونديال للمرة الـ15 في تاريخه، والرابعة على التوالي، وحقق الميدالية البرونزية لمونديال 2018 وحل رابعا في مونديال 1986 بالمكسيك، ويتسلح بخبرات 51 مباراة في كأس العالم، حقق خلالها 21 فوزا و10 تعادلات مقابل 20 خسارة. ويحلم منتخب مصر بتحقيق أول فوز في تاريخه ببطولة كأس العالم، وأيضا تحقيق أول فوز على منتخب أوروبي بعد الخسارة 2 – 4 أمام المجر في مونديال 1934 والتعادل مع هولندا وجمهورية أيرلندا والخسارة أمام إنجلترا في مونديال 1990 والخسارة أمام روسيا بنتيجة 1 – 3 في مونديال 2018.

> مهمة منتخب الفراعنة لن تكون سهلة في تحقيق الفوز على بلجيكا، نظرا للفوارق الفنية والتاريخية بين المنتخبين

ويسعى الفراعنة أيضا لكسر سلسلة من أربع هزائم متتالية في كأس العالم أمام إنجلترا في مونديال 1990 ثم أوروغواي وروسيا والسعودية في مونديال 2018.

ويراهن المدير الفني لمنتخب مصر حسام حسن على عدد من الركائز في مختلف خطوط الفريق، أبرزها الثنائي الهجومي عمر مرموش نجم مانشستر سيتي الإنجليزي ومحمد صلاح الذي رحل عن ليفربول هذا الصيف بعد مسيرة ناجحة دامت تسع سنوات.

كما يبرز أيضا رباعي الأهلي مصطفى شوبير في حراسة المرمى والثنائي إمام عاشور ومروان عطية في منتصف الملعب، ومحمود حسن تريزيغيه في مركز الجناح الأيسر.

وتضم قائمة مصر أسماء أخرى قد تصنع المفاجأة وتترقب فرصة لترك بصمة تاريخية مثل مصطفى زيكو الذي سجل آخر هدفين لمصر في الفوز على روسيا 1 – 0 والخسارة أمام البرازيل 1 – 2 في آخر مباراتين وديتين استعدادا للمونديال، وكذلك هيثم حسن لاعب ريال أوفييدو الإسباني الذي سجل مشاركته الأولى خلال مباراتين وديتين في مارس أمام السعودية وإسبانيا، إضافة إلى المهاجم الواعد حمزة عبدالكريم صاحب الـ18 عاما المنتقل من الأهلي إلى برشلونة الإسباني.

تعويل كبير على النجوم

العرب
الإثنين 2026/06/15
السنة 49 العدد 13835

قطبة المناجل.. رمز للأزياء الشعبية الأردنية

في كل غرزة من "قطبة المناجل" تختبئ قصة من ذاكرة عجلون، حيث حولت النساء الأردنيات الخيط والإبرة إلى سجل بصري يوثق تفاصيل الحياة الزراعية والعادات الاجتماعية، لتبقى الأثواب المطرزة شاهدا حيا على إرث ثقافي عريق يتوارثه الأبناء والأحفاد جيلا بعد جيل.

تنوع بصري بالأزياء التراثية

عمان - تُعد "قطبة المناجل" من أبرز أشكال التطريز التي ارتبطت بالثوب العجلوني التراثي، وشكّلت على مدى عقود بصمة فنية مميزة عكست ارتباط المرأة في محافظة عجلون ببيئتها الزراعية وموروثها الشعبي. وحافظت هذه القطبة على حضورها في العديد من الأثواب التقليدية التي تناقلتها الأجيال، لتبقى شاهدًا على جانب مهم من الهوية الثقافية الأردنية.

وأكد مدير ثقافة عجلون سامر فريحات أن "قطبة المناجل" تمثل جزءًا أصيلًا من التراث الشعبي في المحافظة. وأوضح أنها تعكس خصوصية البيئة المحلية. وأشار إلى أنها ارتبطت بالثوب العجلوني بوصفها عنصرًا فنيًا يحمل دلالات ثقافية واجتماعية. وأضاف أن المحافظة على هذا الموروث تسهم في تعزيز الوعي بقيمة الأزياء الشعبية وأهميتها التاريخية.

وبيّن أن مديرية الثقافة تنظم معارض وفعاليات متنوعة للتعريف بالأزياء التراثية. وتعمل على توثيق مكوناتها. وتسعى إلى نقل هذا الإرث إلى الأجيال الجديدة. كما تشجع الحرفيات على الاستمرار في ممارسة فنون التطريز التقليدي.

وأوضح رئيس متحف الوهادنة للتراث الشعبي محمود الشريدة أن "قطبة المناجل" تُعد من أشهر أشكال التطريز التي ميزت ثوب "الشرش" العجلوني. وقال إن الغرز تتداخل بطريقة فنية تمنح شكلًا يشبه المناجل المستخدمة قديمًا في أعمال الحصاد. وأضاف أن هذا الشكل يعكس العلاقة الوثيقة بين المجتمع والأرض.

وأشار إلى أن عجلون اشتهرت تاريخيًا بصناعة النسيج والتطريز. واستخدمت النساء أصباغًا طبيعية مستخرجة من النباتات والأعشاب المحلية. وقمن بصبغ الخيوط والأقمشة يدويًا. وأسهمن في إنتاج أثواب حملت طابعًا فريدًا يميز المنطقة عن غيرها من المحافظات الأردنية.

ولا تقتصر أهمية الأزياء التراثية الأردنية على محافظة عجلون فقط، بل تمتد إلى مختلف مناطق المملكة. وتتميز كل منطقة بأنماط خاصة من التطريز والزخارف والألوان. وتعكس هذه الاختلافات التنوع الثقافي والاجتماعي الذي عرفه الأردن عبر تاريخه.

وتشتهر منطقة الكرك بأثوابها المزينة بالتطريز الهندسي. وتبرز في بعض التصاميم الألوان الحمراء الداكنة. وتحمل النقوش دلالات مستوحاة من البيئة المحلية. كما تتميز أثواب الطفيلة بتطريزات دقيقة وألوان هادئة، وتعكس طبيعة الحياة الجبلية في المنطقة.

وتحافظ محافظة مادبا على نمط خاص من التطريز التقليدي، وتستخدم فيه زخارف مستوحاة من النباتات والورود. كما تبرز أثواب السلط بتصاميم تعكس مكانة المدينة التاريخية والتجارية، وتُظهر مهارة النساء في تنفيذ النقوش اليدوية المعقدة.

وفي البادية الأردنية، تختلف الملابس التراثية عن نظيراتها في المدن والقرى. وتعتمد على الأقمشة الواسعة التي تتناسب مع طبيعة الحياة الصحراوية. وتستخدم النساء أثوابًا مزخرفة بخيوط ملونة، بينما يرتدي الرجال الملابس التقليدية التي توفر الراحة والحماية من الظروف المناخية. ويرتبط الثوب الأردني بعادات اجتماعية متوارثة، ويُرتدى في حفلات الزفاف والمناسبات الوطنية والاحتفالات الشعبية، وتحرص كثير من النساء على ارتداء الأثواب المطرزة في المهرجانات التراثية. كما تسعى المؤسسات الثقافية إلى تشجيع هذا الحضور بوصفه جزءًا من الهوية الوطنية.

وقال المهتم بالشأن التراثي أسامة القضاة إن الزخارف التي ظهرت على الأثواب التقليدية لم تكن مجرد عناصر جمالية، وأضاف أنها حملت رسائل ودلالات اجتماعية وثقافية، وأوضح أنها وثّقت تفاصيل الحياة اليومية والعادات السائدة في المجتمعات المحلية.

وأشار إلى أن بعض الرسومات استوحت أشكالها من الأشجار والزهور وأدوات الزراعة. بينما استمدت أخرى رموزها من البيئة الصحراوية أو الجبلية. وأضاف أن كل غرزة كانت تعبر عن قصة أو قيمة اجتماعية معينة.

وأكدت رئيسة الاتحاد النسائي في عجلون منى اليعقوب أن الأثواب المطرزة لا تزال تحظى بحضور واسع في المناسبات الوطنية والتراثية. وأوضحت أن العديد من السيدات يحرصن على ارتدائها اعتزازًا بالموروث الشعبي، وأضافت أن الجمعيات النسائية تنظم دورات تدريبية لتعليم الفتيات فنون التطريز التقليدي.

وبيّنت أن هذه الدورات تسهم في الحفاظ على الحرفة من الاندثار، وتشجع الأجيال الجديدة على تعلم المهارات اليدوية. كما تفتح المجال أمام بعض النساء لتحويل التطريز إلى مشاريع إنتاجية صغيرة تدر دخلا إضافيا للأسر.

وشهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بالأزياء التراثية الأردنية، وشاركت الأثواب التقليدية في معارض محلية ودولية، واستقطبت اهتمام الزوار والباحثين في مجالات التراث والثقافة. كما ساعدت وسائل التواصل الاجتماعي في التعريف بهذه الأزياء وإبراز جمالياتها.

وتواصل المؤسسات الثقافية والمتاحف والجمعيات المختصة جهودها لتوثيق هذا الإرث، وتعمل على جمع الأثواب القديمة وحفظها. وتعرض نماذج منها في المناسبات الثقافية. كما تسعى إلى تسجيل الحرف التقليدية المرتبطة بها ضمن برامج صون التراث الثقافي.

التراث السعودي والعربي يبرز في مكسيكو سيتي

نيومكسيكو - شهد معرض "حضارة ملهمة"، الذي تنظمه الندوة العالمية للشباب الإسلامي في العاصمة المكسيكية مكسيكو سيتي، ضمن الفعاليات الثقافية المصاحبة لكأس العالم 2026، إقبالاً واسعًا من الزوار من مختلف الجنسيات، الذين توافدوا للتعرّف على ملامح الحضارة العربية والإسلامية وما تحمله من قيم إنسانية وتراث ثقافي عريق، إلى جانب إبراز جوانب من حضارة المملكة العربية السعودية ودورها التاريخي والحضاري.

ويأتي تنظيم المعرض في إطار جهود تهدف إلى تعزيز الحوار الحضاري وبناء جسور التفاهم بين الشعوب، من خلال تقديم محتوى ثقافي متنوع يعكس ثراء الهوية العربية والإسلامية، ويُعرّف الزوار بعناصرها الفنية والاجتماعية والإنسانية بأسلوب تفاعلي حديث. وشهدت الأركان التفاعلية داخل المعرض حضورًا لافتًا، حيث استقطب ركن نقش الحناء العربية عددا كبيرا من الزوار الذين خاضوا تجربة مباشرة للتعرف على أحد أبرز الفنون التراثية النسائية في الثقافة العربية، لما يحمله من رمزية جمالية واجتماعية متوارثة عبر الأجيال.

كما حظي ركن اللباس العربي بإقبال واسع، إذ حرص الزوار على ارتداء الأزياء التقليدية العربية والتقاط الصور التذكارية، في تجربة تعكس تنوع الموروث الثقافي العربي وأصالته، وتُسهم في تقديم صورة حيّة عن الهوية الثقافية للمنطقة.

وفي سياق متصل، شهد السوق العربي المصاحب للمعرض افتتاحًا لافتًا، حيث ضم مجموعة متنوعة من المنتجات التراثية التي شملت الملابس التقليدية، والعطور الشرقية، والحلويات العربية، إضافة إلى تحف ومجسمات تمثل معالم حضارية وإسلامية بارزة، ما أتاح للزوار فرصة الاطلاع على جوانب متعددة من الثقافة العربية في قالب تسويقي وثقافي متكامل.

رنا سماحة تغني: «قلبي الغلبان»

القاهرة - تواصل الفنانة رنا سماحة تحضيراتها لطرح أحدث أعمالها الغنائية بعنوان "قلبي الغلبان"، والتي تُعد إحدى أغنيات ألبومها الجديد "مهري حياة"، المنتظر صدوره خلال الفترة المقبلة.

ويأتي الألبوم ضمن تعاون فني يجمعها بالمنتج معتز رضا، في خطوة تسعى من خلالها إلى تقديم تجربة غنائية مختلفة تعكس تطور مسيرتها الفنية وتنوع اختياراتها الموسيقية.

وتحمل أغنية "قلبي الغلبان" طابعًا عاطفيًا، حيث كتب كلماتها الشاعر حسين خالد، ولحنها محمد فخراني، بينما تولى رامي المصري مهمة التوزيع الموسيقي، في حين يتولى إخراج العمل المصور المخرج حسام مجدي.

وتراهن رنا سماحة على الأغنية الجديدة لما تحمله من أفكار موسيقية متجددة ولمسات فنية تسعى من خلالها إلى الوصول إلى شريحة واسعة من الجمهور.

ومن المقرر أن يتم طرح الأغنية رسميًا يوم الخميس المقبل عبر مختلف المنصات الموسيقية الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي، لتكون أحدث إصداراتها الغنائية خلال الموسم الحالي.

ويترقب جمهور رنا سماحة العمل الجديد، خاصة بعد الحملة الترويجية التي سبقت الإعلان عنه، والتي شهدت تفاعلاً ملحوظًا من متابعيها الذين أعربوا عن حماسهم للاستماع إلى الأغنية ومشاهدة الكليب المصاحب لها.

معرض البندقية للقوارب يحتفي بالابتكار والاستدامة

روما - انطلقت فعاليات الدورة السابعة من معرض القوارب في مدينة البندقية الإيطالية، في حدث بات يُعد أحد أبرز المواعيد السنوية المتخصصة في قطاع اليخوت الترفيهية والتقنيات البحرية الحديثة بمنطقة شرق البحر المتوسط. ويُقام المعرض في أروقة ترسانة البندقية التاريخية، التي تُعد من أهم المعالم البحرية في المدينة، حيث تجمع بين الإرث البحري العريق والتطور التكنولوجي الذي يشهده قطاع الملاحة البحرية حول العالم.

ويستقطب المعرض سنويًا شركات تصنيع القوارب واليخوت، إلى جانب خبراء الصناعة البحرية والمستثمرين والمهتمين بالتقنيات الحديثة، ما يجعله منصة مهمة لاستعراض أحدث الابتكارات والاتجاهات المستقبلية في هذا القطاع. وتشارك في الدورة الحالية عشرات الشركات المحلية والدولية التي تعرض مجموعة متنوعة من اليخوت الفاخرة والقوارب الرياضية والنماذج البحرية المتطورة. ولا يقتصر المعرض على كونه مناسبة تجارية لتسويق المنتجات البحرية، بل يقدم نفسه بوصفه مختبرًا مفتوحًا للابتكار والاستدامة. ويخصص مساحة واسعة لعرض أحدث أنظمة الدفع الصديقة للبيئة، بما في ذلك المحركات الكهربائية والهجينة التي تهدف إلى تقليل الانبعاثات الكربونية والحد من التأثيرات البيئية للملاحة البحرية.

كما يشهد المعرض عرض عدد من النماذج الأولية لمشروعات بحرية مستقبلية تم تطويرها بالتعاون مع جامعات ومراكز أبحاث متخصصة، في إطار الجهود الرامية إلى تعزيز مفهوم النقل البحري المستدام. وتشمل هذه المشروعات حلولًا ذكية لإدارة الطاقة على متن القوارب، وتقنيات حديثة لتحسين كفاءة استهلاك الوقود، إضافة إلى أنظمة رقمية متقدمة تساعد على تعزيز سلامة الملاحة.

صباح العرب

كرم نعمة
كاتب عراقي

يشتري الفقراء الهتاف ويستأجر الأثرياء الصمت؟

تستقر الصحيفة الوردية "فايننشيال تايمز" كل صباح بجانب أقداح القهوة، على الطاولات المصقولة ذاتها التي يتوسدها طقسٌ مقدّس يجمع كبار السياسيين ورجال الأعمال وأساطير المال، حاملةً معها في يوم واحد مفارقة سوسيولوجية صارخة، تكاد تختزل شيزوفرينيا القرن الحادي والعشرين.

في عدد واحد هذا الأسبوع، وعبر مقالين نُشرا متزامنين، تبدّت لنا الرأسمالية المتوحشة وهي تمارس لعبتها الأثيرة: تفكيك الوجود الإنساني وإعادة بيعه مجزأً، حيث تمنح الفقراء والمهمشين "الاندماج العام والمستطيل المكشوف"، بينما تبيع للأثرياء "العزلة المطلقة والمستطيل المغلق". إنها جدلية "الفرجة والتخفي" التي تحكم عالمنا اليوم.

من جهة، يصحبنا الصحافي الساخر هنري مانس الفائز بجائزتين في الصحافة البريطانية، في مقاله المثير للاسئلة "كيف تتحدث بلغة الفيفا"، ليقدم لنا قاموساً تهكمياً يفكك شفرة الخطاب اللغوي والسياسي لرئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم، جياني إنفانتينو.

يكشف مانس كيف تحولت منظمة الفيفا إلى طائفة أيديولوجية تبيع للجمهور العريض، وخصوصاً الفقراء والمهمشين في أصقاع الأرض، شعارات براقة مثل "كرة القدم توحد العالم" و"دمقرطة اللعبة".

لكن هذه اللغة، في جوهرها التسويقي، لا تعني سوى رغبة الرأسمالية الرياضية في تحويل "العلنية" و"الفرجة" إلى سلعة استهلاكية، حيث يُدفع مئات الملايين من البشر للاحتشاد في الميادين والمدرجات، والصراخ تحت الضوء، واستهلاك الأوهام القومية المتاحة للجميع، لكي يشعروا بآدميتهم وانتمائهم لهذا العالم. كرة القدم هنا هي "المستطيل المكشوف" الذي تجبر فيه المنظومة الجميع على الاندماج والظهور العلني الصاخب لضخ الأموال في حسابات سويسرا.

فـ"الفيفا" وفق مانس، لم تعد مجرد منظمة رياضية، بل تحولت إلى ما يشبه "دولة فوق الدول" أو طائفة أيديولوجية لها لغتها الخاصة وقاموسها السري الذي يدمج بين لغة الشركات الكبرى، ومصطلحات التنمية البشرية، والخطاب السياسي الانتهازي.

التفسير الحقيقي في قاموس إنفانتينو، "العالم" لا يعني المشجعين في الشوارع، بل يعني "الأسواق الجديدة". توحيد العالم يعني تحطيم الخصوصيات الثقافية للدول وجعل الجميع يستهلكون ذات المنتج الإعلاني. عندما يقول إنفانتينو صديق المشاهير والأثرياء إن اللعبة توحد البشر، فهو يقصد أن الفيفا عثرت على طريقة تجعل الحكومات الدكتاتورية والديمقراطية تضخ الأموال في ذات الحساب البنكي في سويسرا دون أي إزعاج من البرلمانات أو منظمات المجتمع المدني.

وفي ذات العدد من الصحيفة الوردية، وتلك هي المفارقة، تفكك مراسلة الرفاهية الدولية إليزابيث باتون المشهد المغاير تماماً في مقالها المثير "هل الخصوصية هي أحدث السلع الفاخرة؟". تأخذنا باتون إلى شارع "نيو بوند" في قلب لندن، حيث افتتحت دار "هيرميس" الفرنسية متجرها العملاق الجديد تحت شعار متغطرس "العالم لا يزال يأتي إلى لندن". لكن الإثارة الحقيقية لا تكمن في حقائب الجلد الأسطورية والقمصان باهظة الثمن، بل في الهندسة المعمارية للمتجر؛ صالونات شاسعة، مخفية عن أعين المتسوقين، مصممة خصيصاً للطبقة فائقة الثراء. الأثرياء هنا لا يدفعون ملايين الدولارات ثمناً لسلعة، بل يدفعون ثمن "الاختفاء". قبل أسابيع تجولت في المتجر من دون أن أشتري سلعة واحدة، ولأنني من عامة المتجولين وليس المتسوقين، لم أر أو أشعر بوجود صالونات الرفاهية المخفية عن الأنظار!